البعبيدي سهام
قَصرُ الدِّماءْ
رواية
بوليسية
دار الجيمة

قصر الدماء

اسم الكتاب: قصر الدماء
اسم الكاتب: د.البعبيدي سهام
نوع العمل: رواية بوليسية
الرقم الدولي EBIN: 16-1-384-250611
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2025م / 1446هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934
داربسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)
Darbassma1@gmail.com
المملكة المغربية

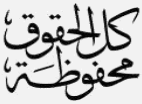

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

قصر الدماء

رواية بوليسية

د.البعبيدي سهام

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

-1-

-الرسالة-

اعتادت الآنسة "إيريني" أن تشرب قهوتها في شرفة منزلها الريفي صباح كل يوم.

يبدو أنها عادة اكتسبتها مع مرور الزمن، تحمل لها ذكريات دافئة تعود بها إلى أيام الطفولة البعيدة، حيث كانت تنتظر قدوم العطل الصيفية بفارغ الصبر لكي تهرع مسرعة إلى المنزل الريفي الجميل الواقع في منطقة آراغون الإسبانية حيث تقطن جدتها.. كانت الشمس الصيفية الدافئة تُضيء كل شيء، والهواء المنعش الممزوج برائحة كعك التفاح والقرفة الذي كانت تتفنن الجدة "ماري" في إعداده بمهارة فائقة، تنبعث في الأرجاء.. لم يكن أحد يستطيع مجاراة الجدة اليونانية في ابتكار الوصفات الشهية، فكرت "إيريني" في ذلك وهي تمرر لسانها على شفتيها في محاولة لاستحضار ذلك المذاق المميز العالق بذاكرتها..

وتذكرت أنها كثيرًا ما كانت تتعب في المحاولة والحرص على الالتزام بنفس المواد والكميات من أجل تحضير الكعك، لكن يبدو أن الطبخ لم يكن إحدى المهارات التي تبرع فيها، ففي النهاية، كانت جميع محاولاتها تبوء بالفشل.

فيما مضى كان من بواعث الضيق أنها تفشل في إنجاز أي شيء بنفس الإتقان الذي كانت تقوم به الجدة "ماري"، حتى وإن كان مجرد قالب حلوى بالقرفة، أما الآن فقد تخلت حتى عن المحاولة، وذلك ربما لأنها أدركت بأن قيمة الأشياء في النهاية، لا تكمن في الدقة التي نبذلها لإتقانها، بل في الذكريات التي توقظها بداخلنا، وخاصة عندما ترتبط الذكريات بأشخاص نَكُنُّ لهم مشاعر المودة والحب.. هذا ما وجدت نفسها ترددده هذا الصباح وهي تستعيد شريط ذكرياتها.

وربما هذا هو سبب احتفاظها بالمنزل الريفي.. لقد أصبح يمثل إرثها العائلي الوحيد والذكرى المادية المتبقية لها من جدتها الراحلة، وعلى الرغم من العروض المتعددة التي انهالت عليها لبيع المنزل بعد وفاة الجدة، إلا أن إيريني رفضتها كلها لارتباطها العاطفي به..

لم تستطع أبدًا التكيف مع فكرة أن يصبح شخص آخر غير "ماري ليفانوس" مالكًا لهذا البيت الصيفي الرائع بشرفته الصغيرة التي تطل على حديقة رائعة الجمال تحتوي على أنواع مختلفة من الورود والنباتات، وقد بذلت إيريني جهدًا كبيرًا للعناية بها، ومنحتها كثيرًا من المتعة والسلوان شغلها عن تخطي موت جدتها الرائعة "ماري" صاحبة الابتسامة الدافئة والعيون الفيروزية اللامعة.

بدأت الآنسة "إيريني" بقراءة رسائلها البريدية كما هي عادتها كل صباح، ولم يستغرق ذلك وقتًا طويلًا، فقد كانت أغلبها عبارة عن فواتير، وإعلانات، ورسائل تعزية ومواساة ما زالت تتواصل معهم حتى الآن من أصدقاء العائلة ومعارفها الكُثُر، الذين لم يُقدر لهم حضور مراسيم الجنازة.

وبعد أن ألقت نظرة سريعة على محتويات الرسائل، توقفت ببصرها على هذا الظرف الذي كان يحمل طابع بريد "اليونان"، وخُط عليه اسمها بطريقة مميزة وبخط بارز:

- إلى الآنسة إيريني سيلفا.

تناولت "إيريني" الرسالة ونظرت إليها مطولًا قبل أن تفضها بعناية.. وقرأت في أعلاها (نيكولاس ليفانوس)!

كانت رسالة مهذبة، مكتوبة بخط راقٍ وأسلوب أنيق ومباشر، جاء فيها بشكل مقتضب:

"عزيزتي الآنسة إيريني، أنا السيد نيكولاس ليفانوس ابن شقيق جدتك السيد نيكولا، لقد توفي والدي في أواخر الشهر الماضي، لذلك أرغب في دعوتك إلى زيارة بيت العائلة الكبير الذي يوجد بجزيرة باروس الرائعة لبحث موضوع يهمك؛ أرجو ألا تقلقي بخصوص تدبير نفقات السفر.

أترقب رؤيتك بفارغ الصبر.
مودتي الخالصة".

قرأت الآنسة إيريني الرسالة وقطبت حاجبيها في دهشة لم تستطع كبحها، وأرسلت بصرها عبر النافذة إلى الحديقة وهي مستغرقة في التفكير، بينما كانت صديقتها مارسيليا تعبر ممر الحديقة المؤدي إلى الشرفة وتصعد درج السلم بخطوات مسرعة، وهي تقول:

- صباح الخير مجددًا، أرى أن هناك شيئًا هامًّا يشغل بالك.

قالت مارسيليا وهي تلاحظ التغيير على وجه إيريني.

- صباح الخير لك أيضًا.. ومنذ متى وأنت هنا؟

- منذ أكثر من خمس دقائق، ألقيت التحية عند باب الحديقة ولم أتلقَّ ردًّا.. يبدو أنك مشغولة البال، ماذا هناك؟

- لا شيء مهم.. تسلمت للتو رسالة غريبة يدعوني فيها صاحبها للسفر إلى اليونان على نفقته الخاصة.

قفزت مارسيليا قائلة بسخريتها المعهودة:

- يا لك من محظوظة، هل هناك مكان إضافي لي أيضًا.. من صاحب الدعوة؟

- إنه قريب بعيد لجدتي من جهة شقيقها السيد نيكولا، يدعى "نيكولاس ليفانوس".

- صحيح؟ أذكر أن جدتك السيدة "ماري" كانت نصف يونانية أليس كذلك؟ إذن ليس شخصًا غريبًا، وإنما يُعد قريبًا لك..

- ربما.. كانت جدتي تحكي لي أحيانًا عن أصولها اليونانية وتذكر شقيقها نيكولا من والدها اليوناني في معرض حديثها، وأذكر أن هناك صورة قديمة لهما مع والدهما عندما كانا في سن صغيرة.. لكن لا أخفيك سرًّا كانت علاقتهم غريبة ومتوترة بشكل ما، ومنذ آخر زيارة له في طفولتي، انقطعت تمامًا.

تساءلت مارسيليا بفضول:

- إذن ستلبين الدعوة لزيارة بلدك، فأنت بالنهاية نصف يونانية، أليس كذلك؟

- لا أظن ذلك.. بالكاد أذكر السيد نيكولا من زياراته المتكررة لجدتي أيام العطل، وكما أخبرتك سابقًا، أذكر بأن علاقتهما كانت متوترة منذ آخر زيارة له كنت حينها في الثامنة أو التاسعة، ثم انقطعت فيما بعد إلى الأبد، أو على الأقل هذا ما اعتقدته.

- وصاحب الرسالة؟

- لا أذكر معرفتي به، كل ما أحتفظ به هي ذكرى مبهمة عنه، أذكر صبيًّا نحيلًا ذا وجه حزين وشعر أشعث أسود، كان يرافق السيد نيكولا أثناء آخر زيارة له، ولكن هذا كل شيء..

- أتعتقدين أنه هو نفسه نيكولاس ليفانوس ابن شقيق جدتك؟

- لا أدري..

- حسنًا، ذكر في الرسالة بأن السيد نيكولا توفي، لعله أوصى لك بشيء من ثروته، من يدري؟

- لا أعتقد ذلك، إنه أمر بعيد الاحتمال.. فالعلاقة بين جديّ والسيد نيكولا لم تكن قوية بما يكفي لذلك.. كان مجرد قريب بعيد.

هب نسيم بارد جعل الآنسة "إيريني" تتسمر في مقعدها متهالكة، وتناولت فنجان القهوة بين يديها، تلتمس منه الدفء في لحظة الصمت التي خيمت عليها. كيف يمكن أن يكون السيد نيكولا قد أوصى لها بشيء قبل وفاته؟

ولكن علاقتها به لم تكن يومًا وطيدة، بل تكاد تكون منعدمة، ما عدا علاقة القرابة التي كانت تجمعه بجدتها.. والرسالة السابقة التي أرسلها قبل شهور..

ولكن لماذا هذا الإلحاح من العجوز؟ والآن ابنه أيضًا؟ ولماذا الآن يظهر هذا الشخص فجأة في حياتها؟ كان ذهنها مشغولًا، والأسئلة تتزاحم.

مع تلك الأفكار، شعرت برغبة غريبة في السفر إلى اليونان، حيث كانت هذه الرسالة تحمل شيئًا غامضًا ومثيرًا في طياتها..

في الأحوال العادية كانت ستكتب رسالة مقتضبة تعتذر فيها عن تلبية الدعوة وترسلها للسيد نيكولاس، لكن حديثها المطول مع مارسيليا سبب لها أرقًا غير معهود، كما أيقظ في داخلها فضولًا غريبًا، ونبش مجموعة من الأسئلة التي بقيت بدون إجابات، لذلك قررت أن تكتب إلى قريبها المجهول السيد ليفانوس رسالة تؤكد فيها بدون تردد زيارتها المرتقبة يوم الخميس، رغم كل الشكوك.

-2-

جزيرة باروس

في صباح يوم الجمعة، وخلافًا لما كان مقررًا كموعد وصول بسبب تأخر السفينة التي كان يفترض أن تنقلها إلى الجزيرة صباح يوم الخميس، وجدت الآنسة "إيريني" نفسها على جزيرة باروس الريفية بمناخها الصيفي المعتدل، وشواطئها الرملية الناعمة والجميلة التي تمتد أمامها مثل لوحة ساحرة.

كان المكان هادئًا، يلفه السكون بطريقة مريبة عندما ترجلت من سيارة الأجرة التي توقفت أمام منزل حجري ضخم.. وقفت "إيريني" أمام باب حديدي عتيق، يفتح الطريق نحو قصر رخامي فاخر، توحي جودة رخامه الفاخر والمميز إلى ثراء فاحش لم تكن تتوقعه، قلبت الرسالة بين يديها مرة أخرى، لتتأكد من صحة العنوان، ثم همست في نفسها:

- هل أنا في العنوان الصحيح؟ لم أكن أعلم أن جدتي البسيطة تنحدر من أسرة يونانية بهذا الثراء..

شعرت بشيء من الارتباك، كان المكان غريبًا عليها، بدا أن سكانه يعيشون في عزلة تامة، وكأنهم لا يتوقعون زوارًا..

- "هل وصلت متأخرة؟ أم أن رسالتي لم تصلهم؟" كانت إيريني قد بعثت برسالة مستعجلة، لتُعلم فيها السيد نيكولاس بالتأخير الذي حصل واحتمال وصولها متأخرة يومًا أو يومين عن الموعد المقرر.

تساءلت بصوت منخفض، بينما أمسكت بيدها تنظر إلى الساعة، إنها تشير إلى العاشرة صباحًا، أتراني وصلت باكرًا؟

- صباح الخير.

التفتت الآنسة "إيريني" مستديرة إلى الخلف بعد أن فاجأها الصوت الرجولي المتحشرج، لتنظر إلى صاحبه، ارتسمت نظرة دهشة في عينيها فور التقائها بنظرات ذلك الغريب الذي كان يمتطي صهوة حصان أسود، يبدو وجهه مألوفًا، إنه يذكرني بذلك الصبي ذي الوجه الكئيب، لكنه يختلف عنه قليلًا في ملامحه، فقد أصبح أكثر نضجًا.. استغرقت في التفكير، ولم تلاحظ أن الصمت قد طال بينها وبين الشاب الغريب، إلا حين تنبهت أخيرًا إلى أن الشاب ترجل عن صهوة جواده وتسمر واقفًا بطوله الفاره أمامها، ينظر إليها بفضول وحيرة وبنفاد صبر واضح، وكأنما ينتظر منها أن تقول شيئًا.

قالت أخيرًا باقتضاب وهي تنظر إليه:

- صباح الخير، أُدعى "إيريني سيلفا"، وأعتقد أن السيد "نيكولاس ليفانوس" يتوقع زيارتي.

انفرجت أسارير الشاب بشكل مفاجئ، وأجابها وقد أشرق وجهه بابتسامة أزالت مؤقتًا معالم الكآبة المرتسمة على محياه:

- يا إلهي! لم يكد عمي يصدق أنك وافقتِ على تلبية دعوته، حتى إنه بدا متفاجئًا أكثر من الجميع بعد وصول رسالتك التي أعلنتِ فيها عن قدومك يوم الخميس، جميع من في القصر كانوا ينتظرون وصولك بفارغ الصبر، لكن حماسهم انخفض عندما انقضى النهار ولم تأتِ، وربما عمي نيكولاس محبط أكثر من الجميع..

بدا الشاب وكأنه يهمس محدثًا نفسه، عندما أضاف:

- لم نكن نتوقع زيارة يوم الجمعة.. أوه أنا آسف.. لا شك في أنك ترغبين في لقاء السيد نيكولاس ليفانوس الغامض، أليس كذلك؟ يمكنني إرشادك إلى مكانه، أذكر أنني شاهدته آخر مرة هذا الصباح عند حديقته السرية مع نباتاته الغالية..

استمر الشاب في الثرثرة حتى أصبت بصداع منذ الآن! فكرت إيريني... يا إلهي! إنه ثرثار بشكل لا يُصدق، ومن الغريب أن ذلك لا يتوافق مع مظهره البائس، يبدو أنه قد لاحظ نظرتي الحادة له إذ نطق حالًا بعبارات توحي بالاعتذار:

- أعتذر يا آنسة، يبدو أنني ثرثرت كثيرًا حتى أزعجتك..

قاطعته مجاملة وأنا أكاد أتفق معه في سري:

- لا لا أبدًا.. وبخصوص تأخري عن الموعد المقرر لقد حدث ظرف غير متوقع.. السفينة التي كان من المقرر أن تقلني يوم الخميس تأخرت عن موعد انطلاقها بسبب عطل تقني.. لذلك لم تنطلق من الميناء في الوقت المحدد.. سبق لي أن بعثت رسالة لأعلمكم.. ألم تصلكم رسالتي؟

أجاب الشابّ باقتضاب:

- مع الأسف لم يصلنا شيء.. خدمة البريد في الجزيرة ليست جيدة، وهو أمر معتاد.. يصل الأشخاص ولا تصل الرسائل..

مر شبح ابتسامة شاحبة على شفتيه، وقال:

- أُدعى ديمتري ليفانوس، والسيد نيكولاس عمي الأكبر.. أرجو أن تتفضلي معي، سأرشدك إلى عمي..

عبرت الآنسة "إيريني" رفقة الشاب "ديمتري" بوابة القصر الحديدية، وسارا معًا في اتجاه ممر حجري طويل محاط بأشجار الأوكليبتوس الشامخة، حتى وصلا إلى منعرج ضيق يقود إلى باب جانبي صغير يبدو أنه باب الحديقة التي ذكرها ديمتري..

كان المكان رائعًا بشكل لا يصدق، لقد كانت الحديقة أشبه بالحلم، لاحظت بأنها تضم العديد من المشاتل والنباتات العطرية والعشبية، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من نباتات الزينة التي لم يسبق لها رؤيتها، وهناك في الوسط كانت توجد بركة صغيرة، وتمثالان حجريان كان يقبعان في الزاوية إلى جانب الباب الصغير.. يبدو أن مالك الحديقة يوليها كل اهتمامه، والشاب ديمتري على حق، فالسيد نيكولاس يبدو مهووسًا بحديقته.

وتذكرت "إيريني" كيف أن جدتها كانت ستحب أن تقضي بقية حياتها في هذه الحديقة لو أن الفرصة أُتيحت لها، وعلى العموم أصبحت تعتقد بأن الاعتناء بالنباتات وتأسيس حدائق خاصة ربما يكون هوسًا عائليًّا..

ابتسمت في سرها بعد أن راودتها هذه الفكرة، ويبدو أن ديمتري قد قرأ ما كان يجول بفكرها إذ إنه خاطبها على الفور قائلًا:

- أعتقد بأنك أعجبتِ بحديقة عمي يا آنسة..

- صحيح، ربما لا تعلم ذلك، لكن جدتي الراحلة كانت تكرس أغلب وقتها للعناية بالنباتات وأنا مثلها، ويبدو مما أراه أن السيد نيكولاس يكرس وقتًا مهمًّا من يومه لفعل ذلك أيضًا.

ابتسم موافقًا وأضاف ممازحًا:

- إذن قد لا يفاجئك أنني مهندس زراعي..

ابتسمت "إيريني" هي الأخرى وهتفت مؤكدة أفكارها السابقة:

- إنه حقًّا هوس عائلي..

عند هذه الفكرة، عبر الثنائي باب المشتل الصغير، ثم مد ديمتري يده فجأة بطريقة مهذبة ليوقف إيريني من التقدم أكثر، ثم تنحنح مستأذنًا:

- عمي نيكولاس، هل أنت هنا؟

في هذه اللحظة سمعا صوتًا حادًّا ونافد الصبر يصيح من الداخل، قبل أن يطل عليهما صاحبه، وقد كان رجلًا متوسط العمر، طويلًا ونحيل الجسم:

- ما الأمر ديمتري، ألم أحذرك من إزعاجي؟

بدا ديمتري محرجًا من طريقة استقبال السيد نيكولاس له أمام الضيفة، لكنه حاول تلطيف الجو معتذرًا وكأنه معتاد على هذا الأسلوب الجاف في التعامل من عمه.. رفع السيد نيكولاس رأسه عن النبتة التي كان يعمل على زرعها في قعر مزهرية زجاجية شفافة مربعة الشكل، ثم جال ببصره في أرجاء الغرفة حتى وقع نظره على الشابة الواقفة بمدخل باب المشتل الصغير، شعر أسود قصير، عيون سوداء ورموش كثيفة، قسمات وجه حادة.. لا شك أنها قريبته الإسبانية.

وقف نيكولاس بحزم، وقد كان رجلًا طويلًا ونحيفًا، ذا هيبة واضحة.. شعره الأسود المتناثر على جبينه أضحى رماديًّا في أطرافه، أما وجهه فقد خُطت فيه التجاعيد من أثر السنين.. انتزع قفازيه بعناية فائقة ووضعهما على الطاولة التي بجانبه، ثم مد يده لتحيَّتها ونطق مجددًا بنبرة مؤنِّبة:

- يا إلهي ديمتري، هل أحضرت ضيفتنا مباشرة إلى الحديقة عوض أن تقودها إلى البيت لتستريح من عناء السفر.. آنسة "إيريني" أهلا بك في جزيرتنا، آمل بأن رحلتك لم تكن متعبة؟

أجابت "إيريني" بطريقة متحفظة محاولة قدر الإمكان أن تبدو مهذبة:

- لا أبدًا، آمل بأننا لم نتطفل على خلوتك!

قال السيد "نيكولاس" معتذرًا، متجاهلًا تأنيبه السابق لديمتري الذي وقف متسمرًا وكأنه تلميذ أمام مدير مدرسة:

- لا أبدًا، الواقع إنني أعمل في الحديقة كلما أردت تصفية ذهني، وحتى أكون صادقًا لم أتوقع رؤيتك، ظننت بأنك غيرتِ رأيك بخصوص المجيء! دعينا نذهب إلى البيت لتستريحي قليلًا ثم لأعرفك على بقية أفراد العائلة عند العشاء..

- الحقيقة أن تأخيرًا غير مقصود قد حدث كما شرحت للسيد "ديمتري"، وقد أرسلت لكم لإبلاغكم بذلك، لكن يبدو أن الرسالة لم تصل..

أجاب السيد نيكولاس مقهقهًا بسخرية وترفع:

- هكذا إذن.. خدمة البريد اللعينة.. الضيف يصل والرسائل لا تصل.. ثم أضاف بهدوء مكررًا دعوته السابقة:

- لا عليك آنستي، المهم أنك وصلت.. لننصرف إلى البيت إذن..

عندما انصرفوا، كانت نظرة نيكولاس تحمل نوعًا من الصدق المرهف، لكنها سرعان ما اختفت ليحل محلها شرود عقلي مصدره معركة داخلية لا تنتهي..

-3-

العشاء

عند العشاء لاحظت "إيريني" أن مضيفها السيد نيكولاس قد بدا ملفتًا أكثر للأنظار بمظهره الأنيق الذي يوحي بأصوله الأرستقراطية، كان يرتدي بذلة توكسيدو سوداء تعكس مظاهر الفخامة والثراء المحيطين به، على عكس مظهره المتواضع الذي شاهدته به صباحًا في الحديقة؛ بدا الآن طويل القامة بشكل لافت، بجسم رياضي نحيف على الرغم من سنه المتقدمة قليلًا، ذا وجه صارم بفك عريض وعيون حادة، بدا وجهه منحوتًا بشكل دقيق، وكأنه تمثال لأحد الآلهة اليونانية الأسطورية، أو بالأحرى بدا كشيطان مخيف.

عندما فتح باب غرفة المعيشة، تراجعت الخادمة العجوز خطوة إلى الوراء لتسمح للآنسة "إيريني" بالدخول، قبل أن تعلن عن قدومها.

تقدم السيد نيكولاس لاستقبال إيريني قائلًا:

- أهلا بك مجددًا دعيني أقدمك إلى أفراد العائلة.. هذه والدتي السيدة "أولغا ليفانوس".

كانت السيدة "أولغا" امرأة في عقدها السابع، متزمتة بطريقة منفرة، تبدو حادة الذكاء، بعينين ضيقتين سوداوين، وشعر رمادي كثيف معقوص إلى الخلف بشكل دقيق وصارم، وقد زينت يديها بحُلي ذهبية وخاتم زمردي لامع، يبرز أناقتها الملحوظة، وقد أوحى مظهرها العام بثرائها الفاحش، لقد كانت مثالًا حيًّا لسيدة أرستقراطية تقليدية.

نظرت السيدة أولغا إلى الآنسة "إيريني" بنظرات تقييمية حادة، قبل أن تحييها بطريقة جافة وباردة.. بينما استطرد السيد "نيكولاس" موجهًا الحديث إلى "إيريني":

- كما يسعدني أن أقدم لك شقيقتي كاترينا وابنتيها كريستين وتاتيانا.. تعمل كريستين كممرضة في المشفى الحكومي لجزيرتنا، أما تاتيانا فإنها تَعتبر مواكبة صيحات الموضة والتباهي بالتقاط الصور عملًا..

ردت تاتيانا وهي تصر على أسنانها، ممتعضة من انتقاد خالها المباشر:

- إذا لم تلاحظ ذلك خال نيكولاس فأنا أحاول تأسيس عملي الخاص.. ثم قالت باندفاع موجهة كلامها للآنسة إيريني:

- كما تعلمين آنستي فإن العمل في مجال الموضة والأزياء عمل شاق ومربح، على عكس ما يظنه الجميع.. ثم ابتسمت نصف ابتسامة قبل أن تضيف: عمومًا لا داعيَ لكي نزعجك بحواراتنا العائلية منذ أول يوم.. تشرفت بمعرفتك آنسة "إيريني"، أرجو أن تجدي إقامتك بيننا ممتعة!

اعترفت "إيريني" في سرها بأن كلًّا من كريستين وتاتيانا قد أحسنتا في اختيار المهن المناسبة لشخصية كل واحدة منهن، فالأولى وجهها بيضاوي الشكل بلمحة طفولية، وتبدو ابتسامتها أكثر صدقًا، وبقدر بساطتها فإنها تبدو بلهاء نوعًا ما، في حين أن الثانية متعجرفة بشكل لا يُطاق، على الرغم من أنها ذات جمال صارخ؛ أما والدتهما كاترينا فقد كانت ذات جمال متواضع، بوجه جامد وملامح حادة كالصخر، وأقرب ما تكون إلى والدتها السيدة أولغا، كما أنها متعجرفة كابنتها الكبرى، ولا تجد حرجًا في إظهار ذلك.

قالت كاترينا وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة متكلفة لتعود إلى جمودها السابق:

- سُررت بمعرفتك آنسة إيريني، وأهلًا بك بيننا.

قال نيكولاس:

- وأقدم لك كلًّا من ديمتري وهو ابن شقيقي الراحل إيفان، الذي بدون شك تعرفت عليه ساعة وصولك.. وهذا أناتولي زوج شقيقتي كاترينا، ثم أخيرًا بيتر زوج تاتيانا..

وفي هذه اللحظة فتح الباب وأعلنت الخادمة عن قدوم ضيف جديد:

- الدكتور ألكسندر وصل يا سيدي!

دخل الدكتور بخطوات مسرعة متمتمًا بعبارات الاعتذار:

- اعذروني على تأخري، كنت أفحص السيدة كسينيا، يبدو أن ضغطها ارتفع كما العادة.. ثم أردف ممازحًا آمل بأنني لم أفوت الكثير!

كان رجلًا شابًّا يبدو في أواخر عقده الثالث، بعينين مرحتين، تبدو عليه سمات الجدية والوقار التي ينبغي أن يتصف بهما أي طبيب مع مرضاه.

شد السيد نيكولاس على يد ضيفه وأجابه قائلًا:

- إنك في الوقت المناسب تمامًا يا عزيزي ألكسندر، والسهرة ما تزال في بدايتها.. دعني أعرفك على قريبتنا الآنسة "إيريني سيلفا"، ثم التفت إلى هذه الأخيرة قائلًا:

- أعرفك على السيد ألكسندر أوناسيس، إنه طبيب العائلة، وهو في نفس الوقت خطيب العزيزة كريستين.

حياها الدكتور ألكسندر بابتسامة دافئة قبل أن يلقي التحية على باقي أفراد العائلة ويتجه ليجلس على طرف الأريكة إلى جانب مخطوبته كريستين، التي أشرق وجهها بسعادة طفولية للقائه.
وقف الشاب "ديمتري" على مقربة من الآنسة "إيريني"، وعرض عليها شرابًا قبلته منه بامتنان، وقالت له مبتسمة:

- إن السيد نيكولاس ولا شك مضيف رائع!

أومأ ديمتري برأسه موافقًا وقال:

- لا شك في ذلك، إن عمي شديد الحرص على اتباع تقاليد الضيافة!

ثم صمت قليلًا وقال:

- إذن كيف وجدت أفراد العائلة؟

تفاجأت "إيريني" من أسلوبه المباشر، وأجابته بحرص شديد مجاملة:

- حسنًا، يبدو لي أنكم عائلة متماسكة.

بدت عبارة مبتذلة وغير صادقة حتى بالنسبة إليها.. وهو ما تأكد لها فوراً بعد أن لمحت شبح نظرة ساخرة على وجه ديمتري الذي علق بدون تردد:

- وماذا تقصدين بالضبط بمتماسكة؟ انظري إلى العمة كاترينا مثلًا، إنها انتهازية كذئب جائع..

كانت السيدة كاترينا في هذه الأثناء تتحدث إلى زوجها أناتولي بصوت شبه مسموع وهي تؤنبه بلؤم، كانت تقول بحدة:

- انظر! بسببك أصبح نيكولاس وصيًّا على أموالنا، وإذا استمررت هكذا فإننا سنخسر كل شيء!

أجابت إيريني محدثة الشاب:

- يبدو أن هناك بعض المشاكل، وهو أمر طبيعي لا تكاد تخلو منه أية عائلة.

قطب ديمتري جبينه وتحدث مجددًا:

- لكننا لسنا عائلة طبيعية.. إليك الجدة أولغا مثلًا، إنها متزمتة وملامحها جامدة طيلة الوقت، ولها طريقة فريدة في التكشير

عن أنيابها لتبسط سيطرتها التامة على جميع أفراد العائلة، بمن فيهم عمي نيكولاس..

ابتسم ديمتري بشكل مفاجئ بعد أن أدرك بأن ملاحظاته اللاذعة في حق أفراد أسرته قد أثارت انتباه "إيريني"، وقال:

- أرجو ألا تفهمي ملاحظاتي بشكل خاطئ يا آنسة، فأنا صريح هكذا دائمًا، ولكنني في نفس الوقت أقدر جميع أفراد العائلة كثيرًا.. وأنتِ؟

- أنا..؟

- إنني أعرف بعض المعلومات القليلة عنك، انطلاقًا مما سمعته من عمي نيكولاس، فزيادة على أنك حفيدة العمة "ماري" شقيقة جدي الراحل.. فأنت تعملين كمستشارة جنائية، وأعتقد أنك ساهمت في حل مجموعة من الجرائم، أليس كذلك؟

- حسنًا، إن معلوماتك صحيحة..

قطب ديمتري حاجبيه وبدا كمن تذكر شيئًا، وقال:

- لقد كان جدي نيكولا شديد الاهتمام بالعائلة، وأعتقد أنه كان يحب أشقائه كثيرًا، وماري بشكل خاص، رغم أنها اختارت الزواج والعيش في بلد آخر غير بلدها.. أتذكر الآن أنه كان دائم الحديث عنها..

تنهدت الآنسة "إيريني" وقالت:

- لا أقصد أن أكون فظة، لكنني لا أعتقد أن العلاقة بينهما كانت جيدة، لدي ذكرى مبهمة عن آخر لقاء بينهما عندما كنت في السادسة، وقد كان لقاءً عاصفًا..

نظر إليها ديمتري كمن لا يصدق ما يسمع، ثم انفجر ضاحكًا وقال:

- أرجو المعذرة.. لكن اسمحي لي بأن أصحح لك معلوماتك، فكما يبدو لي لست على دراية بما كانت عليه علاقتهما حقًّا.. الخلاف أمر عادي في أية عائلة يونانية، وعائلة ليفانوس لا تشكل استثناءً.. خلاصة الأمر، لقد كان جدي وجدتك على تواصل دائم، وقد بدا شديد التأثر بوفاتها.. وأعتقد أن خلافهما قد نُسي مع مرور الوقت وأصبح مجرد ذكرى.. لذلك لم يتوقف عن دعوتها إلى الرجوع إلى بلدها والاستقرار في بيت العائلة، خاصةً بعد وفاة زوجها.. لقد حزن كثيرًا على وفاتها، وكان شديد التأثر في أيامه الأخيرة، ربما كان نادمًا لأنه لم يستطع قضاء المزيد من الوقت برفقتها والتعرف عليكم أكثر.. وإلا لما كان أوصى بجزء كبير من ثروته لك!

بدت المفاجأة شديدة على وجه "إيريني"، وقالت:

- ما الذي تقوله؟ هل أوصى لي جدك بثروته؟

- صحيح بجزء مهم من ثروته، ولكن اعذريني على وقاحتي يا آنسة، ألم تسألي نفسك عن سبب تواجدك هنا؟ ألم تتساءلي عن سبب نظراتهم اللئيمة ومعاملتهم الباردة!

- وأنت؟

- آه، أنا لا يهمني المال أبدًا.. عليك رؤية وجوههم عندما أخبرهم المحامي بوجود وريث آخر.. ثم قهقه ضاحكًا وهو يقول:

- على أيٍّ كوني حذرة آنستي، سأدعو الله من أجلك حتى لا تسقطي فريسة للذئاب الجائعة بجزيرة باروس..

في هذه اللحظة وقبل أن تستطيع "إيريني" الرد على كلامه، فتحت مدبرة المنزل العجوز باب قاعة الطعام.. وأعلنت أن العشاء أصبح جاهزًا.

كان الطعام المقدم شهيًّا ومتنوعًا، وكانت الآنية فاخرة وثمينة، وبدا الجميع مستئنسًا بالحديث في ضوء المصابيح الخافتة، وقد تصدر كلٌّ من السيد نيكولاس والسيدة أولغا المائدة على الجانبين.

كانت تاتيانا ملتهية بالحديث مع زوجها بيتر عن آخر العروض التي ستقدمها بداية فصل الربيع، وعن رغبتها في افتتاح متجرها الخاص إذا استطاعت إقناع عمها نيكولاس بالاستثمار في دار الأزياء التي تعتزم فتحها، وبدا هذا الأخير غير مهتم تمامًا بما كانت

تقوله، على عكس شقيقتها كريستين التي كانت تصغي بانتباه وإعجاب تام.

أما على الجانب الآخر من المائدة فقد كان الطبيب ألكسندر يجلس على يمين السيدة أولغا، وبدا منغمسًا معها في الحديث عن بعض السموم النادرة التي استخدمها الطب الصيني التقليدي في علاج عدة أمراض، كالتهاب المفاصل وآلام الأسنان والربو.. والتي أصبح من الممكن الاستفادة من خصائصها العلاجية في الطب الحديث.

التفتت إليهما كاترينا وهي تمطط شفتيها بازدراء، قائلة:

- أتمنى لو أن هناك سُمًّا ناقعًا نستطيع من خلاله التخلص من الغباء..

أجابها نيكولاس وقد انتبه إلى الحديث الدائر في هذا الجانب من المائدة:

- في اعتقادي يا عزيزتي أن جهل الإنسان هو أصل كل الشرور، وبدل البحث عن دواء أو سم لذلك، يجب أن يسعى الفرد منا إلى بذل المزيد من الجهد في سبيل الخلاص، وذلك لن يتأتى إلا من خلال العلم والتعلم، أليس كذلك؟.. ثم التفت إلى ألكسندر ممازحًا:

- إن نوع السموم التي ذكرت، ناهيك عن فوائدها العلاجية، فإنني أعتقد أن هناك من قد يرغب في استخدامها بشكل خاص من أجل التخلص من أقربائه، خاصةً إذا كانوا أغنياء مثلي..

قالت كريستين، وقد تحول انتباه الجميع إلى هذا الحديث الغريب عن السم:

- هناك أساليب أخرى لارتكاب الجرائم غير دس السم في طعام أحدهم يا خال نيكولاس، وهي أكثر تقدمًا، خذ على سبيل المثال مادة السارين، وهي مادة أكثر سُمِّيَّةً وتأثيرًا، بحيث تعمل على مهاجمة الأعصاب، أو استخدام البكتيريا في خلق أمراض قاتلة..

وهي كلها تقنيات غالبًا ما تلجأ إلى استخدامها الحكومات في تصنيع الأسلحة الكيميائية المخيفة وفي شن الحروب البيولوجية..

هنا تدخل بيتر وقال:

- إن هذه الأساليب التي تتحدثين عنها يا كريستين معقدة كثيرًا ليلجأ لها شخص بسيط من العامة، فالغالبية تفضل استخدام السموم المعروفة والمألوفة.. كالزرنيخ أو السيانيد أو الثانيوم..

علق ديمتري قائلًا:

- أوافقك الرأي طبعًا يا بيتر، فغالبية الناس ستفضل استخدام مادة مألوفة أكثر ويسهل الحصول عليها، وأعتقد بأن استخدام مثل هذه السموم مفضَّل أكثر لدى النساء، أليس كذلك آنسة إيريني؟ لا بد أن لك دراية واسعة في هذا المجال بفضل عملك كمستشارة جنائية، لا شك أنه قد سبق لك العمل على جرائم من هذا القبيل؟!

أجابت إيريني بحياد:

- إن الأمر لا يتعلق بالنساء أو بالرجال، لأن الجريمة تظل جريمة مهما كان جنس فاعلها، والمجرم في الغالب –سواء أكان رجلًا أم امرأة– يتميز ببرودة أعصابه.

فقال أناتولي ممازحًا:

- إذا كان الأمر يتعلق بهدوء الأعصاب فإنني أجزم أن الأطباء أشد الناس برودة وهدوءًا، وأقربهم إذن لارتكاب الجرائم.. أليس كذلك يا عزيزي ألكسندر؟

رد الدكتور ألكسندر بنبرة متهكمة:

- والممرضين كذلك!

صاحت كريستين قائلة:

- يا إلهي ألكسندر لا أصدق أنك قلت ذلك.. نحن أبعد ما يكون عن قتل مرضانا بالسم..

- هدئي من روعك يا عزيزتي، أنا فقط أجاري والدك في مزاحه.

قال نيكولاس:

- أعتقد أن الجريمة الكاملة لا تحتاج لبذل كل هذا الجهد، بل لدهاء كبير.. ففي حين يمكنني تدبير ارتكابها بطرق سهلة وغير مثيرة للشك لماذا سألجأ لاستخدام أساليب معقدة.. فالناس يموتون كل يوم في حوادث غريبة على غرار تعرضهم لحادثة سيارة أو سقوط على ظهر حصان.. أليس كذلك؟

ولأول مرة لاحظت إيريني التحفظ الذي أبدته السيدة أولغا عن إثارة هذا الموضوع، إذ ابتسمت بتحفظ، في أول محاولة منها لتغيير الموضوع وتلطيف جو الأمسية، وقالت:

- أعتقد بأن هذا حديث لا طائل منه، ما دام لا أحد منا يفكر في ارتكاب جريمة قتل عما قريب، أليس كذلك؟ أرى أن نستمتع بأمسيتنا حتى لا نخيف ضيفتنا أكثر بهذا النوع من الأحاديث..

أجابت إيريني:

- لا تقلقي سيدة أولغا، فآخر شخص قد تخيفه هذه المواضيع هو أنا، ولكني لا أمانع تغيير الموضوع..

في هذه الأثناء انصرف الجميع إلى تناول الطعام، والانشغال بالأحاديث الثنائية الجانبية؛ وغاصت الغرفة في مزيج من الأصوات القادمة من الحاضرين ومن الموسيقى التي كانت تشتغل في الخلفية بهدوء تحت ضوء الشموع الخافت.

وبينما بدا الجميع مستمتعين بالأمسية، كانت "إيريني" غارقة في تفكير عميق، تنقل نظراتها بين الحضور.. الأحاديث الجانبية التي دارت حول المائدة ألقت ظلالًا من الشك على تفكيرها.. كان حديث السموم والجريمة أمرًا غريبًا وغير متوقع، وصادمًا، لكن ما أثار انتباهها أكثر هو المزاح المستمر الذي بدا وكأنه يحمل شيئًا من الجدية في طياته، خاصة عندما تحدث نيكولاس عن الجريمة الكاملة وأسهل الطرق لارتكابها.

لم تكن "إيريني" تملك سوى القليل من المعلومات عن خلفية العائلة، لكن حدسها أنبأها بأن هناك شيئًا غير واضح في العلاقة التي تجمعهم، ربما كان ذلك ما جعل الجو العام حول المائدة يوحي

بتوتر خفي.. هل كان هذا الحديث البريء عن الجريمة مجرّد حديث عابر، أم أن هناك شيئًا أعمق يختبئ خلف هذا المزاح؟

ابتسمت "إيريني" بخفة وأعادت تركيز انتباهها على الأشخاص من حولها، وهي تستشعر الغموض المحيط بها.. في هذه اللحظة بالذات انفجر صوت ضحك مفاجئ في الجهة المقابلة من المائدة، حيث عاد الدكتور ألكسندر إلى إثارة الموضوع، وقد بدا أنه لا يمانع الاستمرار فيه، وكان يمازح السيدة أولغا بطريقة فكاهية حول "تسميمه" لأحد المرضى عن غير قصد، وذلك أثناء تقديمه علاجًا مستعجلًا..

لكن الضحك لم يخفف من جو التوتر الذي بدأ يخيم على المائدة. أحست "إيريني" بأن الغرفة، رغم فخامتها وجودة الطعام الرائع المقدم بها، كانت تكتظ بمشاعر سلبية غير مرئية، وأفكار مظلمة تبرز إلى السطح.

-4-

جريمة بشعة

بعد انتهاء العشاء دعا السيد نيكولاس جميع الحاضرين إلى غرفة الاستقبال من أجل تناول القهوة، كانت الغرفة أنيقة الأثاث وفاخرة كباقي غرف القصر، تحلَّق الجميع حول طاولة صغيرة وُضعت عليها فناجين القهوة وزجاجات الماء، في حين جلست السيدة أولغا على مقعد كبير أمام المدفئة مبتعدة عن الجميع.

"لنكسر هذا الصمت الرهيب!" قال نيكولاس مبتسمًا، وهو يصفق بيديه كأنه يعلن عن حفل مسرحي.

"سنلعب لعبتنا القديمة، **ΜάντεψεΠοιοςΕίμαι**.. احزر من أنا".

ابتسم البعض بفتور، وآخرون بصدق. بدا أن هذه العادة ليست جديدة في سهرات العائلة.

تناول نيكولاس بعض القصاصات الورقية وقلمًا، وبدأ يكتب أسماء شخصيات حقيقية وخيالية. مرر واحدة منها إلى كل شخص دون أن يسمح لهم بقراءتها، بل طُلب منهم لصقها على جباههم بمساعدة لصقة صغيرة. كانت الضحكات الأولى خفيفة، مترددة.

حين جاء دور "ديمتري"، الذي التصقت على جبهته قصاصة كُتب عليها "مينوتور"، سأل بجدية مبالغ فيها:

- هل أنا إنسان؟
- ضحك الجميع.
- نصفه. أجاب نيكولاس.
- هل أنا أسطورة؟
- بكل تأكيد.
- آه، لا تقل لي.. أنا هرقل؟
- أقرب إلى كابوسه!

ارتفعت الضحكات من حول الطاولة، حتى من أولئك الذين بالكاد شاركوا في البداية. وحدها السيدة أولغا لم تضحك. كانت تحدق في النار، كما لو أنها تسمع شيئًا آخر غير صوت ضحكاتهم. قالت فجأة، دون أن تلتفت إليهم:

- كنتم تلعبون هذه اللعبة في تلك الليلة أيضًا.. أليس كذلك؟

سكن الجو للحظة.. ألقى عليها نيكولاس نظرة خاطفة، في حين تبادل الحاضرون نظرات سريعة، ولم يجب أحد.

خيم الصمت للحظة. تبادل الحاضرون نظرات حذرة، وبعضهم تظاهر بعدم السمع.. بعد تلك اللحظة الثقيلة، تنحنح السيد نيكولاس بخفة، ثم قال بنبرة هادئة:

- آنسة إيريني.. أيمكنك مرافقتي إلى المكتب؟ هناك أمر أود أن أتحدث معك فيه على انفراد.

نظر إلى الحاضرين مبتسمًا ليخفف من أثر اللحظة، ثم نهض.
وقفت إيريني بهدوء، تبعته دون أن تنبس بكلمة، بينما استمرت الضحكات المتقطعة تحاول استعادة الجو السابق.
دخلت إيريني غرفة المكتب تتبع السيد نيكولاس في صمت. كانت الغرفة أقل فخامة من بقية القصر، لكنها دافئة ومزدحمة بالتفاصيل: كتبٌ مصفوفة بعناية على الرفوف، ساعة جيب ذهبية موضوعة في صندوق زجاجي، ولوحة زيتية لعجوز يشبه نيكولاس، ينظر من خلالها كأنه يراقبهم من خلف الجدار.
أغلق نيكولاس الباب خلفها بهدوء، ثم أشار إلى مقعد مقابل مكتبه الخشبي العريض.

- تفضلي، آنسة إيريني.

جلست إيريني بصمت، تراقبه وهو يصب فنجانًا من القهوة دون أن يعرض عليها، تبادل نظرات قصيرة معها، ثم جلس قبالتها، قائلًا:

- أعرف أن وجودك هنا لم يكن صدفة.. وأنك لست مجرد ضيفة عادية.

رفعت إيريني حاجبًا دون أن تعلق، فأكمل بنبرة أهدأ:

- أعرف أن والدي سبق له مراسلتك قبل وفاته لتكليفك بمهمة.. ولدي إحساس عميق.. أن بعض الأسئلة لن تُطرح من قبل الشرطة، بل منك أنت.

ساد صمت قصير. ثم انحنت قليلًا للأمام، وقالت بثقة:

- ما الذي قصدَته السيدة أولغا.. عندما قالت إنكم لعبتم اللعبة في "تلك الليلة أيضًا"؟ أي ليلة كانت؟

ارتبك وجه نيكولاس للحظة، وكأن السؤال باغته، ثم اعتدل في جلسته وأخذ رشفة صغيرة من القهوة، وقال:

- هذا.. ليس موضوعًا يسهل الحديث عنه.
- لكنه يستحق أن يُروى، أليس كذلك؟

تنهد ببطء، ورفع نظره نحو اللوحة المعلقة خلفها، قبل أن يعود بعينيه إليها.

- كانت ليلة عاصفة، منذ سنوات.. وكانت آخر مرة اجتمعنا فيها كلنا في هذا القصر.

ثم مال للأمام، وقال بنبرة منخفضة:

- في تلك الليلة توفي أخي إيفان.

تأملت إيريني لحظة، وقالت:

- وهل لي أن أسأل كيف توفي؟

نظر إليها نيكولاس بحدة، قبل أن تلمح نظرة عطوفة خاطفة في عينيه، حملت نوعًا من الصدق المرهف، اختفت مباشرة عندما نطق أخيرًا:

- مات منتحرًا.. برصاصة في رأسه..

تمتمت إيريني بعبارات مواساة تقليدية، ثم تحدثت مجددًا قائلة:

- أرجو المعذرة يا سيد نيكولاس، هناك سؤال لم يفارقني منذ أن تلقيت رسالتك.. لماذا أنا هنا؟

بدا السيد نيكولاس متفاجئًا من صراحتها، لم يكن ينتظر هذا السؤال:

- ماذا تقصدين؟

- أنت تعرف قصدي جيدًا سيد ليفانوس، لماذا تمت دعوتي إلى هنا؟ أرجو أن تختصر الأمر وتجيبني مباشرة..

ألقى نيكولاس نظرة عابسة على رفيقته، قبل أن تنفرج أساريره بابتسامة شيطانية:

- لم أشك أبدًا في ذكائك أنسة "إيريني".. لكنك –لأكون صريحًا– فاجأتني، لم أتوقع أبدًا أنك ستبادرين بالسؤال قبل أن أبدي لك تلميحًا للموضوع.. سأحاول أن أختصر..

أجابت إيريني مازحة:

- كل ما في الموضوع أنني لا أحب البقاء في خانة الجهل التام مدة طويلة.. ثم أضافت بشرود:

- آمُل ألا تكون هناك علاقة لذلك بالحديث المتعلق بالسم وجرائم القتل!

في هذه اللحظة نظرت إيريني لنيكولاس فكان وجهه جامدًا، وقد تلاشت ابتسامته الشيطانية التي لم تفارق وجهه طيلة الأمسية، فقال:

- بل هو كذلك.. أعتقد أن هناك من يستهدفني.. تنهد نيكولاس ثم أضاف: حياتي في خطر!

- أرجو المعذرة سيد نيكولاس، هلا أوضحت أكثر؟

- حسنًا، أعتقد أن هناك من يحاول التخلص مني.. أو الأصح أعتقد أن أحد أفراد عائلتي يحاول قتلي؟

أحست إيريني في هذه اللحظة بأن جميع حواسها قد تيقظت بسبب هذا التصريح الخطير، وقالت:

- وهل لي أن أسأل كيف توصلت لهذا الاستنتاج؟

- حسنًا.. كما تعلمين فقد راسلتك للمجيء إلى باروس من أجل تنفيذ وصية والدي، ولإتمام المهمة التي سبق له أن عهد لك بها قبل وفاته، ولكن ذلك لم يكن السبب الوحيد، ففي الأسابيع

السابقة لمراسلتي لك وقعت بعض الحوادث الغريبة.. تعرضت فرامل سيارتي للتلف، وبعد البحث تأكد لي أن أحدهم قد عبث بها.. ثم بعد مرور أسبوع تعرضت لحادثة أخرى، سقطت عن ظهر الحصان وأُصبت بكدمات بسيطة..

- حسنًا، وكيف توصلت إلى الاعتقاد بأن هذه الحوادث مفتعلة وليست مجرد حوادث عرضية؟

- لأنني لست شخصًا مهملًا فأنا حريص جدًّا على فحص سيارتي بشكل دوري، وقد أخبروني في مركز الفحص التقني بأن أحدهم عبث بالفرامل.. كما أن حصاني هادئ الطباع عادة، لكنه في ذلك اليوم بدا هائجًا على غير طبيعته فور امتطائي له.. لم أنتبه إلا فيما بعد أن السرج كان مدهونًا بمادة الكابسيسين من الفلفل الحار، وقد سببت للحصان حرقة لا تحتمل.. فعندما امتطيته وضغطت على السرج سببت له ألمًا شديدًا، مما أدى إلى هيجانه فلم أستطع السيطرة عليه..

قالت إيريني:

- وهل تشك في شخص معين؟

رد نيكولاس بلامبالاة واضحة:

- الجميع بدون استثناء..

حسَبما فهمت من حديثك يا سيد نيكولاس، فإنك متأكد بأن جميع هذه الحوادث المفتعلة للتخلص منك لها دافع مادي محض وهو الإرث، وبالتالي لم يرتكبها شخص من الخارج.. لكن الأمر الذي لم أفهمه هو لِمَ سيرغبُ أي فرد من أفراد عائلتك في التخلص منك في حين أن والدك قد أوصى لكم جميعًا، وبالتالي، فأنت لا تشكل أي تهديد؟

ابتسم السيد نيكولاس ابتسامة غامضة وأجاب:

- المال يا عزيزتي.. إنه سبب كافٍ، وفي حالتي إنه أكثر سبب مقنع.. الجميع يلهثون وراء الثروة وما زاد الطين بلة وصية والدي.. لقد وضعني في مأزق حقيقي، إليكِ مثلًا شقيقتي كاترينا، لقد حرمها والدي من الميراث بسبب اختلاساتها المتكررة لحسابات الشركة، وزوجها أناتولي لا يقل عنها دهاءً، لقد كان مجرد موظف بنك بسيط قبل أن يُطرد بسبب اختلاسه، وقد راكم ديونًا كثيرة.. تاتيانا حانقة عليَّ لأنها فشلت في إقناعي باستثمار أموالي في مشروعها الفاشل لتأسيس دار أزياء، وقد أفسدها تدليل والدها لها، وتحولت إلى مجرد مدمنة بائسة رغم تظاهرها بالعكس.. أما بيتر زوجها فالجميع يعلم سبب زواجه منها، إنه مجرد انتهازي.. ديمتري مختفٍ طول النهار في مختبراته، كالشبح، لا أحد يعلم ما يجول في فكره.. هل تريدين أكثر من ذلك؟

- أرى أنك لم تدرج الجميع، هل هذا يدل على أنك تستبعدهم من دائرة الشك؟

- أتقصدين كريستين ووالدتي؟

- نعم، والطبيب أيضًا..

تنفس نيكوس بعمق وأجاب:

- كما قلت لك سابقًا، لا أستبعد أحدًا..

في هذه الأثناء، أجابته إيريني بفضول لم تستطعْ إخفاءه:

- ولِمَ لا تمنحهم ما يريدون ما دمت متأكدًا من كون المال هو السبب؟

- حسنًا، لأنني لا أريد ذلك، لنقل أنني مستمتع هكذا! إذن هل ستساعدينني على اكتشاف هُوية الشخص المجهول الذي يضمر لي الشر داخل أفراد عائلتي؟

رفعت إيريني أحد حاجبيها مستغربة، وقالت:

- لِمَ لا تطلب مساعدة البوليس أو محقِّق خاص؟ لِمَ تريد مني مساعدتك وأنت بالكاد تعرفني؟

أجاب نيكولاس:

- لا أريد أن تتدخل الشرطة في شؤون عائلتي الخاصة.. وأنتِ تُعتبرين من العائلة، يكفي أن والدي جعلك أحد الورثة! ثم ابتسم بخبث منهيًا حديثه: أنا مهتم لكشف هوية الشرير في العائلة، لأنني أدخر له عقابًا مناسبًا...

نظر إليها نيكولاس متسائلًا، فأومأت إيريني برأسها علامة الإيجاب.

وعندئذ قال السيد نيكولاس بصوت قوي:

- أشكرك.

***

في غرفة نومها، أخذت إيريني تحدق في النقوش الذهبية التي تزخرف السقف، متأملة الديكورات الباهرة التي أضفت لمسة فنية على التصميم الداخلي للغرفة، وهي تفكر في حديثها المسائي مع السيد نيكولاس، ثم قالت بصوت مسموع:

- يا لها من عائلة غريبة تورطت معها! ألا يستطيعون التمتع بكل هذا الثراء بهدوء وسلام..

سبب لها تفكيرها في المهمة التي قَبلتها للتو أرقًا غير معهود ذكَّرها بالليالي التي كانت تقضيها في محاولة فك خيوط القضايا والوصول

إلى الحقيقة عند تسلمها لأية مهمة جديدة، وفكرت في الطرق التي يمكن لها اعتمادها من أجل حل هذه القضية قبل أن تتعقد الأمور أكثر، ثم يمكنها عندئذ العودة إلى الاستمتاع بعطلتها الصيفية في بيتها الريفي الهادئ بحديقته الرائعة الجمال.. كان التناقض في شخصية نيكولاس يثير تساؤلاتها.. هل هو فعلًا ضحية مؤامرة أم أنه مجرد لاعب ماهر في لعبة معقدة من الخداع والمكائد؟

أخذت نفسًا عميقًا وقررت أن تبقي الأمور بسيطة في البداية.. عليها أن تراقب كل شيء عن كثب، وأن تتحدث مع كل فرد من أفراد العائلة دون أن تثير الشكوك.. ربما يكمن الجواب في التفاصيل الصغيرة.. ابتسمت عندما تذكرت العبارة الشهيرة:

« **The Devil is in the detail** »

"الشيطان يكمن في التفاصيل"

تقلبت يمينًا ويسارًا حتى استسلمت أخيرا للنوم..

***

في صباح اليوم التالي، كان القصر هادئًا كما كان في الليلة السابقة. الضباب كان يملأ الأرجاء والسماء ملبدة بالغيوم، مما أضاف لمسة غامضة على المكان. كان الدكتور ألكسندر قد وصل إلى القصر في وقت مبكر، ليزور كريستين التي كانت قد طلبت منه الحضور لمعاينتها لأنها شعرت بوعكة مفاجئة، وأيضًا من أجل المشاركة في بعض الأمور الخاصة بالعائلة.

دخل ألكسندر بهدوء، مستمتعًا بهواء القصر المنعش، وكانت مشاعره مزيجًا من التوتر بسبب الحالة الصحية المفاجئة لكريستين، والفضول الذي يشعر به تجاه تفاصيل وصية العجوز نيكولا وعلاقته بميراث العائلة.

في جزء آخر من القصر، استيقظت "إيريني" على ضوء أشعة الشمس المتسللة إلى الغرفة من خلف الستائر المخملية البيضاء، أطرقت برأسها وغمغمت:

- يوم جديد في جزيرة باروس، رفقة عائلة ليفانوس!

فكرت أن السيد نيكولاس تعمد أن يضعها في مواجهة أسرار عائلته، التي يبدو أن لا أحد من أفرادها يستلطفها لسبب لا دخل لها فيه.. هل تخبرهم عن نيتها في التنازل عن تنفيذ وصية الرجل الكبير، أم تتريث لترى المنحى الذي ستتخذه الأمور.. عادت بها

الذاكرة إلى السيد نيكولا العجوز الذي لم تكن تملك له سوى صورة قديمة تجمعه مع جدها، وذكرى مبهمة من زياراته السابقة.. وأخذت تفكر، لا شك أنه كان رجلًا يجد متعة في إغاظة الناس، وما وصيته إلا دليل واضح على أنه استمتع بإغاظة أفراد أسرته حتى وهو ميت.. أما ابنه نيكولاس فيبدو أنه لا يقل عنه شأنًا، بل يكاد يكون نسخة طبق الأصل عن أبيه بسخريته اللاذعة وعجرفته الظاهرة..

- حسنًا، من أين ستبدأ..؟

صحيح أن السيد نيكولاس أخبرها بشكوكه حول محاولات التخلص منه، وأنه لم يستثن أحدًا من أفراد عائلته القاطنين بالقصر.. لكنه لم يخبرها على وجه التحديد ما المطلوب منها..
ثم إنها ليست متأكدة مما إذا كانت جميع تلك الحوادث مفتعلة أم مجرد حوادث عرضية ضخمتها شكوكه.. هل يتوقع منها أن تحقق في خلفيات كل واحد من أفراد العائلة على حدة، ثم تخبره بما توصلت إليه؟ لكن هل هذا أمر صائب؟ أليس فيه خطورة على حياته، خاصة وإن اتضح أن شكوكه في محلها، وأن هناك قاتلًا يتربص به في الخارج؟

همستْ لنفسها:

- لا بد لي من التحدث إلى نيكولاس.. أحتاج إلى المزيد من المعلومات الإرشادية، وعليه إفاديّ بها.. إضافة إلى ذلك من واجبي إقناعه بضرورة إدخال البوليس على الخط.. نعم يجب ذلك.

أدركت فجأة أنها اندمجت في التفكير وبأنها قبلت المهمة بشكل نهائي، ثم فتحت باب الغرفة وهي تنزل السلالم بخُطوات ثابتة، وقالت:

- لنبدأ العمل!

كان بعض أفراد الأسرة مجتمعين في غرفة الطعام، جالت إيريني بنظرها مفتشة عن السيد نيكولاس، إلا أنها لم تلمحه على طاولة الطعام.

في هذه الأثناء دعتها السيدة أولغا قائلة:

- تفضلي يا آنسة إيريني، هل قضيت ليلة نوم هانئة!

- صباح الخير، لقد قضيت ليلة جيدة، شكرًا على سؤالك سيدتي..

أجابت العجوز بتحفظ:

- يسرني سماع ذلك..

في هذه الأثناء، قفزت كاترينا قائلة بلؤم:

- أعتقد أن عليك التعود يا أمي على تناول طعام الإفطار مع الآنسة "إيريني"، فعلى ما يبدو أنها ستستقر بباروس بعد حديثها المطول مع نيكولاس ليلة البارحة.. أعتقد بأنه أخبرك عن الوصية، أليس كذلك؟

أجابت إيريني بهدوء وبلامبالاة حول طريقة كاترينا المستفزة في الكلام:

- صحيح، الجزيرة رائعة، قد أفكر في ذلك!

نظرت كاترينا إلى والدتها وهي تقول:

- هكذا لن تكوني بحاجة إلى التذمر كل يوم حول عدم احترام قواعدك يا أمي!

وجهت السيدة أولغا نظرة حادة نحو ابنتها، تنذر بنفاد صبرها، ثم وجهت الكلام إلى إيريني:

- صحيح، طلب مني نيكولاس أن أبلغك بأنه سيكون في الحديقة إذا أردتِ الانضمام إليه.. سيكون بانتظارك.

- سأفعل، شكرًا لك.

بعد قليل كانت إيريني تسير نحو أحد الأبواب مستمتعة بهواء القصر المنعش، وكانت مشاعرها مزيجًا من التوتر بسبب الحديث الذي ستجريه مع نيكولاس، والفضول الذي تشعر به تجاه تفاصيل وصية نيكولا وعلاقتها بميراث العائلة، رفعت رأسها وحدقت بالمنظر الممتد أمامها من وراء الشرفة المغطاة بالنباتات المتسلقة، بدت الرمال الذهبية رائعة من هذا المكان، وتساءلت كيف لم تنتبه لهذا المنظر البانورامي ليلة البارحة، لاحظت أن ديمتري يشير لتحيتها بيده من فوق حصانه الأسود وهو يبدو عائدًا من جولته الصباحية، فبادلته التحية.

التفت إلى اليمين فرأت سيارة تندفع بقوة مسرعة خارج بوابة القصر الحديدية، بدا لها وجه السائق مألوفًا، إنه بيتر زوج تاتيانا، تبدو ملامحه غاضبة، كما يبدو أنه على عجلة من أمره.
انطلقت بخطًى مستكشفة نحو الممر المؤدي إلى الحديقة، ولم تدرك أنها أخطأت الممر حتى فاجأها صوت رجولي من خلفها، كان صوت الطبيب ألكسندر الذي حياها قائلًا:

- صباح الخير آنسة إيريني.

أجابته:

- صباح الخير دكتور ألكسندر، لم أتوقع رؤيتك هنا!

أجاب مبتسمًا:

- جئت لأطمئن على كريستين، يبدو بأنها قد أصيبت بوعكة صحية.. هل أنت بصدد استكشاف المكان؟

- في الواقع أنا ضائعة.. دعاني السيد نيكولاس إلى الحديقة، وكنت متوجهة إليه، ويبدو لي أنني أخطأت الممر..

- آه، إنه أمر متوقع، فأنا نفسي كنت أخلط بين الممرات قبل أن أعتاد على تصميم المترل.. تعالي دعيني أرشدك! وفي المرة المقبلة اطلبي من نيكوس توجيهك، إنه البستاني..

سار الدكتور ألكسندر نحو الممر الصحيح المؤدي إلى الحديقة، وتبعته إيريني.. وصلوا إلى الباب الزجاجي المؤدي إلى الحديقة.. وكان الهدوء يخيم على المكان بشكل لا يُطاق، ولم يكسر هذا الصمت سوى نعيق بومة كانت تحط على أحد الأغصان، تنظر إليهما بعيون مخيفة.. بدا التوغل في الحديقة صباحًا موحشًا أكثر من أي وقت مضى، بسبب مساحتها الشاسعة وأشجارها الكثيفة التي يلفها الضباب بشكل مكثّف.

وبينما كانوا يمشون عبر الحديقة، كانت إيريني تفكر في القلق الذي كان يساورها بشأن ما حدث مع نيكولاس في الليلة الماضية، في الوقت الذي كانت تراقب فيه ألكسندر وهو يسير إلى جانبها بهدوء.

فجأة، لفت نظرها شيء غريب على الأرض بالقرب من نافورة قديمة، كانت هناك آثار واضحة على العشب، وكان المشهد غير طبيعي، لكنها تجاهلته.. كان باب المدخل الصغير مفتوحاً، وهو يدل على أن السيد نيكولاس ما زال هناك.

توقفا لحظة عند المدخل، كان المكان في الداخل يعبق برائحة غريبة وكريهة، ونيكولاس يجلس وظهره إلى الخلف في مقعد أمام مجموعة من المزهريات الزجاجية تحيطه النباتات والأغراس من كل جانب، وقفازاته مرمية بإهمال على الأرض..

سار الطبيب ألكسندر إلى حيث كان يجلس نيكولاس، وتبعته إيريني..

وقال الأول بابتسامة عريضة:

- صباح الخير نيكولاس، لقد أحضرت معي قريبتك، يبدو أنها كانت ضائعة.. ثم وضع يده على أنفه وقال:

- ما هذه الرائحة الكريهة؟!

انتظر الاثنان جوابًا على سؤال الطبيب، ولكن نيكولاس لم يتحرك، ولم يجب.
كان وجهه جامدًا وخاليًا من الحياة، ولكنه بدا وكأنه مستغرق في النوم.
وضعت إيريني يدها على أنفها، واقتربت إلى الأمام، وتحسست نبض نيكولاس، ثم نظرت بحدة إلى الطبيب وقالت بصوت مرتفع:

- لا تلمس شيئًا رجاءً يا دكتور، يجب أن نستدعي الشرطة حالًا!

تسمَّر ألكسندر في مكانه من هول الصدمة، ونطق عاجزًا عن التصديق، وكأن الكلمات ترفض أن تتشكل في فمه:

- أتقصدين أنه ميت..!

أومأت إيريني برأسها علامة الإيجاب.
لم يصدق الدكتور ألكسندر ما سمعه وصاح قائلًا:

- لا يمكن ذلك، دعيني أفحصه، قد يكون مغشيًّا عليه..

وفي هذه الأثناء، انحنى الطبيب إلى الأمام ورفع إحدى يدي نيكولاس ثم تركها تسقط.. كان جسمه باردًا وخاليًا من الحياة.
أجابت إيريني أخيرًا:

- سيكون من الأفضل أن تخرج يا دكتور، أعتقد أن هناك مادة كيميائية بالهواء..

وما هي إلا لحظات قليلة حتى انتشر الخبر وعج المكان برجال الشرطة، بدت معالم الصدمة بارزة على الجميع من الخدم إلى أفراد الأسرة، حيث جلسوا جميعًا بوجوه جامدة في صالة الاستقبال بناءً على تعليمات المفتش غريغوريوس والضابط المساعد الذي كان امرأةً تُدعى أثينا.

رفع المفتش غريغوريوس رأسه وقال بلهجة رسمية وصوت عميق:

- لحظة من فضلكم.

تحولت جميع الأنظار إليه، وقال مجددًا بنفس اللهجة:

- يؤسفني أن أنبئكم بأن وفاة السيد نيكولاس لم تكن طبيعية، وإنما جاءت نتيجة تعرضه لتسمم حاد، وذلك حسب المعاينة الأولى التي قمنا بها.. لكننا مع ذلك سننتظر ما سيسفر عنه تقرير الطبيب الشرعي من نتائج..

نهضت السيدة أولغا وديمتري واقفين، وقطب أناتولي حاجبيه في صمت، وكتمت تاتيانا صرخة كادت تفلت من فمها، في حين تسمرت كريستين في مكانها كجثة هامدة، وسارع الطبيب

ألكسندر للإمساك بها، أما كاترينا وبيتر فكانا يقفان على مقربة من بعضهما البعض بوجوه جامدة لا تبدو عليها سوى معالم الشرود.

هتف أخيرًا الطبيب ألكسندر:

- أيُعقل هذا..؟

نظر إليه المفتش وسأل:

- كنت أنت من اكتشف الجثة أولًا يا دكتور؟
- نعم، وكانت برفقتي الآنسة إيريني..

التفت المفتش إلى الناحية الأخرى وسأل:

- هل هذا صحيح يا آنسة "سيلفا"؟
- نعم، كنت في طريقي للقاء السيد نيكولاس في الحديقة، وقد أخطأت في اجتياز الممر الصحيح، فعرض عليَّ الدكتور "ألكسندر" اصطحابي، والبقية تعرفها!

وقالت السيدة أولغا بأنفاس متهدجة:

- لقد مر عليَّ باكرًا كما هي العادة لإلقاء تحية الصباح، وليتأكد من تناولي للدواء.. قبل توجهه إلى الحديقة.. لو عرفت ما سيحصل لما سمحت له..

تحدث المفتش غريغوريوس قائلًا:

- حسنًا، أيتها السيدات والسادة، يبدو أن السيد "نيكولاس" توفي نتيجة تعرضه لتسمم حاد، وقد أُسندت لي مهمة التحقيق في هذه القضية لنحدد ما إذا كانت الوفاة طبيعية أم جريمة.. وبعد لحظات سيأتي الطبيب الشرعي.. هل يمكنك يا دكتور ألكسندر تحديد ساعة الوفاة على وجه التقريب بما أنك أول من فحص الجثة؟

- حسنًا، عندما اكتشفنا الجثة كانت درجة حرارتها منخفضة بدرجة أو درجتين، مما يمكن معه القول أن الوفاة قد حدثت منذ ساعة أو أكثر بقليل قبل أن نكتشف الجثة أنا والآنسة إيريني، أي ربما الساعة الثامنة صباحًا..

التفت المفتش ينظر إلى الآنسة إيريني وهو ينتظر أن تؤكد له مدى صحة ذلك، فقالت:

- هذا صحيح، وأكاد أجزم أن الوفاة قد حدثت منذ ساعة أو نحو ذلك.. وربما حدثت نتيجة استنشاق مادة سامة، فأنا أتذكر

أنني شممت رائحة قوية في الجو عند اكتشافنا للجثة أنا والدكتور، ولكن قد لا تكون بالضرورة رائحة السم.. قد يكون مركبًا كيميائيًّا مختلطًا برائحة أحد المبيدات..

إنه مجرد تخمين في انتظار تقرير الطب الشرعي، عمومًا لقد سارعنا للخروج تفاديًا لاحتمال التسمم.. وفي اعتقادي إذا كان الأمر يتعلق بجريمة قتل، فإن القاتل إما يكون ذكيًّا جدًّا، وجد طريقة لتسميم الضحية مع الحفاظ على سلامته، أو أنه أقدم على مجازفة خطيرة، إذ كان بالإمكان تعرضه للتسمم هو الآخر، فالرائحة كانت قوية جدًّا.. وبالمناسبة أنا أعمل كمستشارة جنائية في جهاز شرطة الأبحاث الجنائية بمدريد.

- نعم أعتقد أن ذلك كان ضربة حظ بالنسبة للقاتل.. ولكن الرائحة كانت شديدة كما ذكرتِ يا آنسة، ويبقى السؤال المطروح: ألم ينتبه السيد نيكولاس لذلك فيغادر غرفة المشتل؟

كانت كريستين تجهش بالبكاء على أحد المقاعد، ولكنها قفزت في هذه اللحظة وهي تقول من بين دموعها:

- لقد كان عمي نيكولاس يعاني من مرض الأنوسميا Anosmia..

سأل المفتش:

- وما هو ذلك؟

أجابت إيريني مفسرة:

- إنه مرض يتعلق بالفقدان التام لحاسة الشم.. أليس كذلك آنسة كريستين؟

- هذا صحيح، لقد كان عمي يعاني من فقدان تام لحاسة الشم.. وهكذا لم يكن يميز الروائح..

قال المفتش غريغوريوس:

- إذن هذا يفسر الأمر.. ثم التفت مجددًا إلى الحاضرين وقال:

- حسنًا، إذن.. إذا افترضنا أنها جريمة مدبرة، هل لديكم أية فكرة عن الدافع إلى الجريمة؟

تبادل الحضور النظرات فيما بينهم، ولم يهتف أي منهم ببنت شفة، ونطقت إيريني قائلة:

- نعم.. أعتقد أن بإمكاني تقديمَ تفسير عن الدافع إلى هذه الجريمة..

في هذه الأثناء تحركت كاترينا باندفاع لمهاجمة إيريني بقولها:

- كيف يمكنك التدخل في شؤون عائلتنا وتقديم تفسير لموت شقيقي، ونحن لم نرَكِ سوى البارحة؟ ما هذه الوقاحة؟!

نظرت إليها إيريني بهدوء تام إزاء اتهامها، في حين نقل المفتش غريغويوس نظره بينهما في فضول وأجاب:

- لا أعترض شخصيًّا على سماع قصة الآنسة.. فيبدو أن لديها تفسيرًا منطقيًّا نتطلع جميعًا إلى الاستماع إليه.. كما أن خبرتها كمستشارة جنائية قد تساعد في فك لغز هذه الجريمة!

وفي هذه اللحظة سمع رنين جرس الباب الخارجي، فقال المفتش:

- لكن قبل ذلك يجب أن أبدأ بالإجراءات المألوفة.. يبدو أن الطبيب الشرعي قد وصل.

غادر المفتش الغرفة، واستمر أفراد الأسرة على جمودهم السابق، بينما سارت الآنسة "إيريني" نحو الشرفة المطلة على باحة الحديقة.

كان الطبيب الشرعي يحمل حقيبته ويدخل إلى غرفة المشتل من الباب الصغير، تبعه المفتش غريغوريوس والضابطة أثينا، ثم جاء في أعقابهم أحد مصوري الشرطة، بينما تجمع بعض أفراد الشرطة أمام الباب إلى جانب التمثالين الحجريين..

وبدأت إجراءات التحقيق..

-5-

التحقيق

الطبيب ألكسندر

بعد نحو ساعة تم الانتهاء من فحص الجثة وتصويرها ورفع البصمات عنها من أجل تحقيق هوية الضحية، ثم نقلها إلى مستودع الأموات الكائن بالجزيرة.

عاد المفتش غريغوريوس ومساعدته أثينا إلى غرفة الاستقبال من أجل استكمال التحقيق، حيث كان أفراد العائلة ينتظرون بوجوه متجهمة؛ بعد قليل اقترحت السيدة أولغا فتح غرفة المكتب في وجه مفتش الشرطة لمساعدته في إجراءات التحقيق.

التفت المفتش غريغوريوس إلى إيريني وقال:

-هلا تفضلت معي يا آنسة "سيلفا" إلى غرفة المكتب؟

استجابت إيريني لطلب المفتش، وبعد خمس دقائق كان الثلاثة يجتمعون حول طاولة صغيرة جانبية في غرفة المكتب، وبدون مقدمات سأل المفتش غريغوريوس قائلًا:

- قبل أن نبدأ في الاستجوابات الرسمية لجميع قاطني هذا القصر، أود أن أعرف لماذا أنت متأكدة من أنها جريمة قتل وليست مجرد حادث عرضي؟ هل لديك أية معلومات حول الدافع لارتكاب هذه الجريمة..

وببطء وحذر روت داميا لمفتش الشرطة ومساعِدته الحديث الذي دار بينها وبين نيكولاس في غرفة المكتب يوم العشاء، فقفز المفتش غريغوريوس قائلًا:

- هل أخبرك بأنه تعرض لمحاولتي قتل، ومع ذلك لم يتوجه للبوليس من أجل طلب المساعدة؟ أليس أمرًا غريبًا!

أجابت إيريني:

- ليس غريبًا تمامًا بالنسبة لشخص كالسيد نيكولاس.. لقد أخبرني بأنه يفضِّل ألا تتدخل الشرطة في أموره العائلية.

قال المفتش:

- يا إلهي، أحسبه كان شخصًا متهورًا وقد دفع ثمن تهوره.. إذن فأنت تعتقدين بأن شخصًا ما من الموجودين في الخارج قد أقدم على ارتكاب هذه الجريمة، وأن ذلك يتعلق بتنفيذ وصية مورثهم العجوز نيكولا ليفانوس..

- قد يكون الأمر له علاقة بذلك، لكنني لا أستطيع الجزم في هذه المرحلة ما دام لا يتوفر دليل مادي ملموس..

- أخبرتني بأن السيد نيكولاس كلفك للقيام ببعض التحريات عن أفراد عائلته بدون استثناء، هل تتوفرين على أية معلومات يمكنك مشاركتها معنا بهذا الخصوص..

تنهدت إيريني وأجابت ببطء:

- مع الأسف، لم يسعفني الوقت لذلك، لقد كنت في طريقي للحديث مع السيد نيكولاس آملة بأن يفيدني ببعض المعلومات، لكن الأوان كان قد فات!

في هذه الأثناء، التفت المفتش غريغوريوس إلى أثينا ورمقها بنظرة غريبة، بدا وكأنهما يتفقان على شيء ما، ثم عاد مجددًا إلى إيريني وقال بنبرة رسمية:

- آنسة سيلفا، سأعرض عليك اتفاقًا.. ألست مستشارة جنائية بمكتب مدريد، وزيادة على ذلك فالسيد نيكولاس قبل وفاته كلفك للقيام بتحريات حول أفراد هذه العائلة؟ ولدي إحساس داخلي يدفعني إلى القول بأنك لن تتواني عن تنفيذ المهمة الموكلة إليك..

عدل المفتش نظارته قليلًا، ثم استطرد قائلًا:

- أعتقد أنه يمكننا الاستفادة من تجربتك في حل خيوط هذه القضية.. ما رأيك؟

- ولِمَ ستفعل ذلك؟ ألست ضمن قائمة المشتبه فيهم؟

- أؤكد لك يا آنسة بأنني لن أستثني أحدًا عن دائرة الاشتباه.. لكنني أؤمن بأن الحقيقة لا يمكن إخفاؤها طويلًا.. وإذا كنت متورطة في الجريمة فسيظهر ذلك عاجلا أم آجلا.. ما رأيك؟

- حسنًا، ما دمت تقول ذلك.. موافقة!

فقال المفتش غريغوريوس:

- أظن أنه يستحسن بنا أن نبدأ في استجوابهم.. والآن أثينا هلا استدعيت الطبيب ألكسندر إلى هنا رجاء.

سارت الضابطة إلى الباب، وطلبت من الطبيب الانضمام إليهم في غرفة المكتب.

أقبل الدكتور ألكسندر، وقد بدا متوتر الأعصاب، وقال:

- إنه حادث مؤلم بشدة علينا جميعًا.. لا أستطيع تصديق أن أحدًا على الإطلاق يمكنه قتل رجل مثل نيكولاس، وفي حديقة بيته.. إن المسكينة كريستين كانت شديدة التعلق بخالها..

ثم بدت ابتسامته المترددة على شفتيه وقال:

- هل أنا على قائمة المشتبه فيهم؟

- لا نستثني أحدًا يا دكتور، فلكل شخص أسبابه الخاصة لارتكاب جريمة قتل!

- أتفهم ذلك.. ولكنني شخصيًّا ليس لي أي سبب يدفعني إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنيعة في حق السيد نيكولاس، صحيح أنه كان شخصًا مختلفًا، لكنه كان يقدرني، وكنا أصدقاء.. وأنا لم أقتله.

- ومع ذلك سيد ألكسندر، أنت تعلم أنه يجب عليَّ القيام بعملي الذي هو التحقيق مع الجميع بدون استثناء.. والآن هلَّا أجبت رجاءً على أسئلتي بدون تحفظ وبوضوح تام: فهمت بأنك خطيب الآنسة كريستين، وهي قريبة الضحية، أليس كذلك؟

- هذا صحيح، كريستين خطيبتي!

- حسنًا، إذن.. تعرف جميع أفراد العائلة معرفة جيدة.. هل تعتقد بأن أحدًا من الموجودين بالخارج لديه الدافع لارتكاب هذه الجريمة؟

- حسنًا، لا أريد أن أكون مندفعًا، لكن..

أطرق الدكتور ألكسندر برأسه مفكرًا وقد بدا مترددًا للحظة، قبل أن يحثه المفتش على الحديث قائلًا:

- أرجو أن تكون صادقًا يا دكتور، فأنت الآن في خِضَمِّ تحقيق رسمي، والحقيقة فوق كل اعتبار..

تشجع الطبيب ثم قال بصراحة:

- حسنًا، إنني أذكر أن كريستين حدثتني بخصوص بعض المشاكل المالية التي سببت خلافًا كبيرًا بين والديها وبين العجوز الراحل.. أقصد جدها السيد نيكولا ليفانوس..

لقد اكتشف الرجل العجوز أن ابنته كاترينا تتلاعب بالحسابات، فقام بطردها من مركزها كمديرة مالية بشركة العائلة، وعاقبها بأن جعل جميع الصلاحيات بيد شقيقها نيكولاس، وهو الأمر الذي لم تستلطفه أبدًا..

- وماذا بشأن زوجها أناتولي؟

- حسنًا، إن السيد أناتولي نفسه ليس رجلًا نزيهًا كما يبدو ظاهريًّا، إنه مدمن على القمار، وبسبب ذلك لديه ديون متراكمة.. لقد ساعده السيد نيكولا في بداية زواجه من ابنته على تسديد جميع ديونه شريطة أن يقلع عن إدمانه، لكن ذلك لم يجدِ نفعًا.. وهو الأمر الذي خلق خلافًا كبيرًا بينه وبين نيكولاس، خاصة بعد أن تولى هذا الأخير شؤون العائلة على إثر وفاة الرجل الكبير.

قطَّب المفتش غريغوريوس حاجبيه، ثم سأل من جديد:

- وكريستين؟ منذ متى وأنتما مخطوبان؟ كيف تعرفتما؟

بدا الطبيب متفاجئًا من هذا السؤال، ثم أجاب مدافعًا:

- كريستين لا يمكنها أن تؤذي بعوضة.. صدقني، إنها ليست المجرمة..

- أنت لم تجبني يا دكتور..

اعتدل الطبيب ألكسندر في جلسته، وأجاب:

- خُطبنا منذ ثلاثة أشهر تقريبًا، لقد كانت كريستين متدربة في فريقي.. هكذا تعرفنا..

أطرق المفتش برأسه، وقال:

- شكرًا على معلوماتك دكتور أوناسيس، سؤال أخير: ماذا كنت تفعل بالفيلا في الصباح الباكر؟

- لقد كنت في طريقي إلى العمل عندما اتصلت بي كريستين لتعتذر عن القدوم إلى العمل اليوم، لأنها أصيبت بوعكة صحية، فجئت لأطمئن عليها، فأنا أقطن في المنزل الكائن في زاوية الشارع.. وكما ترى مقر سكني قريب من منزل عائلة ليفانوس.

- حسنًا، يا دكتور أعتقد أننا انتهينا للآن، هل يمكنك أن تترك عنوانك لكي تسجله الضابطة أثينا في حال احتجنا التواصل معك؟

- طبعًا.. كما قلت لك، أقطن في مكان قريب، في المنزل رقم 14 المجاور لكنيسة إيكاتونتابيلياني، الهاتف 567809.

نظر غريغوريوس إلى إيريني وقال:

- إذا كانت لديك أسئلة تودين طرحها يا آنسة إيريني فلتتفضلي، فأنا على ثقة بأن الدكتور أليكسندر لن يمانع في ذلك!

فقال الدكتور:

- بكل تأكيد.. فقالت إيريني:

- هو سؤال واحد، هل يمكنك إخبارنا بساعة قدومك إلى القصر على وجه التحديد؟

أجاب الطبيب:

- حسنًا، لقد اتصلت بي كريستين في الساعة السابعة إلا عشر دقائق، وكما قلت سابقًا، لقد صادف أنني كنت متوجهًا إلى المستشفى، وكنت ساعتها قريبًا من المنزل.. أعتقد أنني وصلت إلى القصر في الساعة السابعة وعشر دقائق، وبقيت مع كريستين ما يناهز ربع ساعة.

- حسنًا.. أرجو المعذرة يا دكتور ألكسندر، أين كنت عندما التقيتك في الممر الخاطئ قبل أن ترشدني إلى ممر الحديقة؟ فأنا أعتقد أن ذلك المكان كان بعيدا عن البوابة الخارجية للمنزل!

أجاب الدكتور ممتعضًا:

- كنت في زيارة للمنزل الخلفي الملحق بالقصر، إنه مكان إقامة البستاني نيكوس.. ابنته مريضة ومررت للاطمئنان عليها، لكنني لم ألتقه، أخبرتني الطفلة أن نيكولاس استدعى والدها إلى عنده.. وبعد أن تفقدت أحوالها غادرت.. هذا كل ما في الأمر.

استطرد الدكتور ألكسندر بنفاد صبر ونهض واقفًا:

- هل ثمة أي شيء آخر أستطيع مساعدتكم فيه؟

فابتسمت إيريني، وهز المفتش غريغوريوس رأسه قائلًا:

- هذا كل شيء يا دكتور، نشكرك على تعاونك.. قد نزورك قريبًا إذا اقتضى الأمر!

- في أي وقت تشاء حضرة المفتش!

ما إن انصرف الدكتور ألكسندر وأغلق الباب خلفه، حتى التفت الضابطة أثينا إلى المفتش غريغوريوس وإيريني قائلة:

- بدا متوترًا، وهو أمر غريب بالنسبة لطبيب.. حسنًا، ما رأيكما فيه؟

قال المفتش:

- لا أستطيع تكوين أي رأي الآن.. فالتحقيق ما يزال في بدايته، وعلينا الاستماع للبقية!

والتفت الاثنان إلى إيريني التي قالت:

- كما قلت يا سيادة المفتش، التحقيق ما زال في بدايته.. وأنا شخصيًّا أفضل الاحتفاظ برأيي الخاص لنفسي في هذه المرحلة!

قالت أثينا:

- أما أنا فيبدو لي كشخص بارد الطباع، يمكنه حقن أحدهم بسهولة بالسم.. لا تنسيا أنه طبيب!

- دعينا لا نتعجل يا أثينا، وقومي بالمناداة على السيدة أولغا.

***

السيدة أولغا

دخلت السيدة أولغا إلى غرفة المكتب بخطًى ثابتة.
بدا وجهها محتقنًا بعض الشيء وعيناها حمراوين.. تساءلت إيريني عما إذا كانت هذه العجوز الأرستقراطية المتزمتة قد ذرفت بعض الدموع على موت ابنها، وهو أمر قد يصعب تصديقه بالنظر إلى مزاجها العام.. بدت السيدة أولغا مشدودة الأعصاب، لكنها حاولت تمالك زمام نفسها.
قال لها المفتش:

- آسف لخسارتك سيدتي، واعذريني على إزعاجك في هذا الوقت بالتحديد.. لكنك تعلمين، هناك إجراءات يتعين احترامها.

أجابت السيدة أولغا برباطة جأش:

- لا بأس يا سيدي المفتش.. الموقف برمته مؤلم حقًّا.. ولا أعتقد أنني سأتخطى وفاة أحد أبنائي بهذه الطريقة البشعة.. ويبدو لي مع كامل الأسف أن أحد الأشخاص الذين في الخارج كان سببًا في ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء، وصدقني لن يهدأ لي بال حتى تكشف هوية القاتل وتتحقق العدالة!

قدم لها المفتش غريغوريوس مقعدًا مريحًا لتجلس عليه أمام الطاولة الصغيرة، ثم بادر بسؤالها:

- متى زارك السيد نيكولاس آخر مرة؟

- زارني في غرفتي صباح هذا اليوم قبل أن يتوجه إلى الحديقة.

- نعم.. في أي ساعة؟

- عادة ما أتناول دوائي على الساعة السابعة صباحًا قبل وجبة الإفطار.. نعم، لقد كانت الساعة تشير إلى السابعة!

- وهل مر للاطمئنان عليك فقط أم تحدثتما في أمر خاص؟

عقدت العجوز حاجبيها، ووجهت نظرات حادة إلى إيريني، ثم قالت:

- أمور عائلية!

قال المفتش بنبرة محذرة:

- رجاءً سيدة أولغا، لا تخفي شيئًا!

- حسنًا، تحدثنا قليلًا بخصوص وصية والده.. وعلى الرغم من اعتراضي على بعض الأمور فيها إلا أن نيكولاس بدا متمسكًا بتنفيذها بحذافيرها، فتخليت عن الموضوع لأننا كنا نخوض في مناقشة عقيمة.. فكرت قليلًا ثم أردفت:

- تحدثنا أيضًا بشأن تاتيانا..

قال المفتش:

- وماذا بشأنها؟

- لم يكن نيكولاس راضيًا عن اختياراتها في العمل أو في الزواج.. وبدا مصممًا على ضرورة التدخل لإجبارها على التوقف عن القيام بذلك العمل السخيف، مادام أنها ليست بحاجة إلى المال، وقد ترك لها جدها ثروة صغيرة يستحسن أن تستثمرها في شيء مفيد.. وقد أخبرني بأنه اتصل شخصيًّا بمدير دار الأزياء ليوقف العروض والتمويل الذي تقدمه شركته لتاتيانا.. حتى يجبرها على العودة إلى رشدها..

- وأنت؟

- أنا وافقته الرأي طبعًا، فلا نية لي في مشاهدة حفيدتي تتمايل لعرض الثياب على شاشة التلفاز، إنه عمل لا يجلب سوى العار لعائلتنا، ويدنس سمعتنا في المجتمع الراقي الذي ننتمي إليه، وكان لا بد من وضع حد له!

- ولكنها فتاة راشدة يمكنها اتخاذ قراراتها بنفسها، أليس كذلك؟

- أرجوك حضرة المفتش.. أنت لا تعلم شيئًا.. لقد كان جميع أفراد العائلة شهودًا على ما آلت إليه الأوضاع عندما لم

يتدخل أحد لكبح جماح الفتاة، أو ما أسميته بـــ"قرارها".. تزوجت من شخص غير ملائم، نرجسي وصائد ثروات، لا يهتم سوى بمالها!

- أتقصدين زوجها بيتر؟

- ومن غيره..؟ لم يكن ابني نيكولاس يطيقه ولا أنا.. وبالمناسبة تذكرت شيئًا الآن ونحن نتحدث.. سمعت أصوات صياح صباحًا، كان أحد الأصوات لنيكولاس، ولأن صداعي كان شديدًا لم أميّز الصوت الثاني بوضوح، أعتقد أنه كان بيتر.. أتذكر بأنني خرجت من السرير لأنظر من شباك نافذتي، لأنها بالمناسبة تطل مباشرة على باب الحديقة.. كان بيتر يجتاز الممر بخطوات مسرعة وبوجه محتقن من الغضب قبل أن يستقلَّ سيارته مغادرًا..

- حسنًا.. سيدة أولغا، هل لك أن تذكري لي كم كانت الساعة آنذاك؟

- أعتقد أنها كانت تشير إلى السابعة وخمسين دقيقة.

- وأنتِ، ألم تغادري غرفتك في أي وقت من الأوقات؟

- لا، لم أبرح غرفتي، لقد أُصبت بصداع ألزمني الفراش طيلة الصباح!

- هل من أحد يمكنه تأكيد ذلك؟

- أرجو المعذرة، ولكن هل أفهم من أسئلتك بأنك تلمح إلى أنني قد أكون مسؤولة عن مقتل ابني؟ هل أنا ضمن قائمة المشتبه فيهم؟!

- أنت تعلمين يا سيدتي بأنني أجري تحقيقًا رسميًّا، وأنتِ لا شك امرأة فطنة، لذلك أرجو أن تجيبي على سؤالي!

- أعتقد أن هيلين، مدبرة المترل يمكنها تأكيد أقوالي.. لقد جاءت لتغيير ملاءات السرير ككل صباح، فأخبرتها أن لا حاجة لذلك ثم صرفتها..

هز المفتش رأسه وقال:

- حسنًا، سيدة أولغا، شكرًا على تعاونك.

همت العجوز بالانصراف، لكنها التفتت قبل ذلك نحو المفتش غريغوريوس وألقت نظرة جانبية حادة على إيريني، ثم وجهت كلامها لمفتش الشرطة قائلة:

- أرجو أن أكون أول من يعلم في حال توصلكم إلى أي جديد بخصوص القضية!

أجابها المفتش مطمئنًا:

- طبعًا!

***

كريستين

دخلت كريستين لاهثة الأنفاس وقد بدت شاحبة اللون، تذكرت إيريني أن الفتاة مرت بحالة هستيرية فور علمها بحدوث الجريمة، ولم تستطع السيطرة على مشاعرها.

كانت شديدة الاضطراب، فاستقبلها المفتش غريغوريوس بطريقة عطوفة، وقدمت لها الضابطة أثينا مقعدًا، ثم دعتها للجلوس عليه، وخاطبها المفتش قائلًا:

- آسف لخسارتك آنسة كريستين، أعلم أنه حادث مؤلم عليك وعلى جميع أفراد العائلة، لكن أرجو أن تتمالكي نفسك وتجيبي على بعض الأسئلة!

- أنا لا أصدق أن خالي نيكولاس قد قُتل.. عندما أفكر أن أحدًا منا ربما يكون قد قتله.. إنه أمر مخيف..

قاطعها المفتش قائلًا:

- اعلمي آنستي بأن الحقيقة ستظهر عاجلًا أم أجلًا! والآن كما فهمت من الدكتور ألكسندر فأنتما مخطوبان، أليس كذلك؟

- صحيح.. ونشتغل في نفس المشفى!

- حدثيني يا آنسة، كيف كانت علاقتك مع السيد نيكولاس؟

- كانت علاقتنا جيدة.. لقد كنا مقربين على الرغم من مزاجه المتقلب!

- كيف ذلك؟

- لقد كان خالي شخصًا يصعب فهمه في غالب الأحيان.. وأستطيع القول أنه كان مخيفًا للبعض!

- وأنتِ ألم يكن يخيفك؟!

- بلى، أحيانًا.. لكنه كان يقدرني.. وهذا أمر نادر الحدوث!

- حسنًا.. هل يمكنك إخباري على وجه التحديد ببرنامجك هذا الصباح؟

- في الحقيقة لم يكن لي أي برنامج هذا الصباح!

- لم أفهم! هلَّا أوضحت أكثر..

- في العادة أتناول الإفطار باكرًا، ثم أنتظر مجيء ألكسندر ليصطحبني إلى المستشفى، لكني اليوم أُصبت بوعكة شديدة ألزمتني الفراش.. لقد حظيت بليلة مليئة بالكوابيس، وأعتقد أن سبب ذلك هو الحديث الذي دار في عشاء ليلة الأمس.. عمومًا لقد زارني ألكسندر في غرفتي، ويمكنه تأكيد ذلك!

- أرجو المعذرة، ما هو الحديث الذي دار بينكم في العشاء؟

- حسنًا، لقد كان ألكسندر يتحدث إلى جدتي أولغا عن بعض أنواع السموم التي تُستخدم لأغراض طبية، كان حديثًا جانبيًّا وثنائيًّا بينهما قبل أن يحظى باهتمام البقية ويتطور إلى حديث سهرة ممل ومخيف حول أنواع السموم والجرائم التي يمكنها ارتكابها.. وهكذا كما ترى لم أستطع أن أحظى بليلة هانئة!

همهم المفتش قائلًا:

- فهمت.. ومتى زارك الدكتور ألكسندر بالتحديد؟

- جاء في السابعة والنصف، وبقي معي ما يناهز العشر دقائق، قبل أن يستأذن للرحيل.. كان لديه موعد مع أحد المرضى!

- هل أنت متأكدة؟

- بالطبع.. كانت ساعة الحائط أمامي.. هل هناك أي مشكل؟

هز المفتش رأسه مبتسمًا وقال:

- لا، لا، أبدًا.. شكرًا لك آنستي!

وشد المفتش على يديها ثم فتح لها الباب لتغادر.

***

قال المفتش غريغوريوس بعد أن أغلق الباب خلفه:

- لقد مدتنا الآنسة بمعلومة جديدة.. وتبعًا لما ذكرته، يبدو أن الدكتور أوناسيس قد كذب علينا بخصوص توقيت تواجده ومغادرته القصر.. والسؤال: لماذا؟ ما رأيك يا آنسة إيريني؟

- ما تقوله صحيح يا سيدي، لكن ما الذي يؤكد لنا بأن الطبيب ألكسندر هو الكاذب وليس العكس.. وإذا افترضنا صحة ما قالته كريستين، فقد صادفت الدكتور أوناسيس في الممر على الساعة الثامنة والنصف.. وإذا أضفنا ما قالته كريستين بأنه مكث معها لعشر دقائق فقط ثم غادر، فإننا نجد أنفسنا أمام مدة زمنية مفقودة لم يلحظ فيها أحد الدكتور، وهي الممتدة من السابعة وأربعين دقيقة إلى لحظة لقائي به في الثامنة والنصف!

قفزت الضابطة أثينا قائلة:

- ولا ينبغي أن ننسى بأن حادثة الوفاة وقعت على الساعة الثامنة، أي إن الدكتور من بين أبرز المشتبه بهم.. وربما يكون هو من ارتكب الجريمة..

أجابت إيريني:

- لا تتعجلي، إنها مجرد تخمينات.. ولا تنسي أن تصريحات الدكتور نفسها قد سلطت الضوء على أشياء كثيرة.. ونحن ما زلنا نحاول تكوين آراء عن الأحداث والأشخاص الموجودين بالخارج وأخلاقهم.. فلنستمع إلى البقية!

دخلت تاتيانا متَّكئة على ذراع زوجها، وكانت تسير بعدم انتباه وتركيز، كانت خطواتها غير متزنة، ووجهها مملوءًا بالبقع الحمراء، فكرت إيريني هل هي آثار البكاء؟ هل هي متأثرة بسبب وفاة خالها بالرغم من علاقتهما المضطربة كما أشارت لذلك السيدة أولغا؟ أم أنها بسبب المشروب؟.. تأملتها مجددًا ورجحت أنها آثار المشروب.. إذن فهي مدمنة على الشراب كما قيل..

بادر بيتر قائلًا:

- أرجو المعذرة يا حضرة المفتش، إن زوجتي ليست على ما يرام! هل تريدني أن أنسحب؟

تردد المفتش لحظة.. ثم أجابه:

- لا أمانع في بقائك.. سنستمع لشهادتيكما معًا!

وجلست ونظرت إلى مفتش البوليس نظرة متسائلة، فقال هذا الأخير:

- سأكون مختصرًا يا سيدتي.. حسنًا، هل يمكنك إخباري متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيد نيكولاس؟

أجابت بعينين جاحظتين:

- البارحة عند العشاء!
- ألم تريه بعد ذلك؟
- حسنًا، دعاني الخال نيكولاس إلى غرفة المكتب بعد انصراف الجميع.. تحدثنا قليلًا!

سألها المفتش مستفسرًا:

- عمَّ تحدثتما؟!
- المعتاد.. لم يكن خالي معجبًا كثيرًا بعملي أو بطريقة حياتي..
- وهل أخبرك بأنه اتصل شخصيًّا بمدير دار الأزياء ليوقف العروض التي تقدمها لك؟
- نعم!

بدا المفتش غريغوريوس متعجبًا من صراحتها، ثم أضاف:

- ألم يزعجك ذلك؟

أجابت بلامبالاة واضحة:

- قليلًا.. لكنني اعتدت على ذلك، لأنها لم تكن المرة الأولى التي يتدخل فيها أي من أفراد أسرتي في شؤوني الخاصة!

- أنت صريحة جدًّا يا سيدة تاتيانا.. وأنت يا سيد بيتر.. هل يمكنك إخباري بآخر مرة شاهدت فيها السيد نيكولاس؟

- أنا لم أره منذ ليلة البارحة!

- هل أنت متأكد؟

- نعم يا سيدي المفتش.

- وأين كنت صباح اليوم عند الساعة الثامنة؟

- حسنًا، لقد تلقيت اتصالًا مزعجًا هذا الصباح من أحد الزبائن.. أنت تعلم كيف تكون الأمور بالنسبة للعاملين في مجال التأمينات.. بعد ذلك غادرت المنزل مسرعًا على الساعة الثامنة وعشر دقائق..

فكر المفتش قليلًا ثم ابتسم وقال:

- حسنًا، أشكركما على تعاونكما.. هذا كل شيء للآن!

بعد انصرافهما سألت أثينا المفتش قائلة:

- لقد كذب عليك، لِم لَم تواجهه بما أخبرتنا به السيدة أولغا؟

- إذا كان كاذبًا فهذا يعني أنه يخفي شيئًا لا يريد منا معرفته، ولن يخبرنا حتى وإن واجهناه، بل سيلتف من أجل حجب الحقيقة.. لذلك لا داعي لتنبيهه الآن!

***

جلست كاترينا على المقعد براحة، ولم تبدُ على ملامح وجهها أية آثار انفعالية تدل على تأثرها بوفاة شقيقها، بدت مرتاحة تمامًا، على عكس زوجها أناتولي الذي بدا وجهه شاحبًا وهو يذرع غرفة المكتب ذهابًا وإيابًا كمن رأى شبحًا، إلى أن أتاه صوت المفتش قائلًا:

- أرجو أن تتفضل بالجلوس يا سيد أناتولي.

أجاب أناتولي متلعثمًا:

- آه حسنًا، يا سيدي.. أرجو المعذرة فأنا شديد التوتر.. إنه حدث رهيب.. لست أدري من هذا الذي أتته الشجاعة لارتكاب مثل هذه الجريمة الشنيعة؟!

رمقته كاترينا بنظرة كريهة مشمئزة، وقالت:

- إنه أكيد ليس شخصًا جبانًا مثلك!

في هذه الأثناء كان المفتش والضابطة وإيريني يراقبان المشهد، فقال الأول:

- وهل نفهم من قولك يا سيدتي بأن ارتكاب جريمة قتل هو أمر شجاع؟

أجابت بابتسامة متملقة محاولة التراجع عن قولها:

- أنا لا أقصد ذلك طبعًا يا سيدي.. لكنني قصدت بأن شخصية المجرم لا بد أن تكون متحجرة القلب وباردة الطباع وليست مهتزة كشخصية زوجي!

بدت كاترينا وكأنها معتادة على رمي الكلام الجارح في وجه زوجها بدون أدنى إحساس بالخجل أو الندم، وبدا هذا الأخير معتادًا على تلقي الإهانات الصادرة منها بدون إبداء أي تأثر..
نقل المفتش نظراته ببطء بين الزوجين، ثم قال:

- حسنًا، إذن.. هلا أخبرتماني متى رأيتما السيد نيكولاس آخر مرة؟

أجابت كاترينا وأكد زوجها قولها:

- منذ ليلة البارحة عند العشاء!

- واليوم صباحًا؟ التفت المفتش ناظرًا إلى أناتولي يدعوه للإجابة.. نعم يا سيد أناتولي؟

أجاب هذا الأخير قائلًا:

- يا سيدي كما قالت زوجتي، فإننا لم نره منذ ليلة البارحة.. أما في الصباح فقد تناولنا وجبة الإفطار كما العادة برفقة السيدة أولغا، ولقد انضمت إلينا الآنسة إيريني كذلك.. ولم نر نيكولاس.. من المرجح أنه تناول وجبته باكرًا ثم انصرف كما هي عادته..

- حسنًا، وماذا فعلتما بعد الإفطار؟

أجاب أناتولي:

- كان لدي عمل مهم.. لذلك مباشرة بعد الإفطار انصرفت إلى المكتبة بالقسم الشمالي من القصر وبقيت أعمل إلى حدود الثامنة والنصف!

وأنت يا سيدة كاترينا:

- كنت أشعر بالملل.. خرجت للتنزه على ظهر الحصان!

- أعتقد أن الساعة كانت تشير إلى الثامنة أو قبلها بقليل.. يمكنك أن تسأل ديمتري، لقد التقيته في الفناء الخلفي!

- بكل تأكيد.. حسنًا، شكرًا لكما على تعاونكما!

***

ديمتري

كانت الأجواء خانقة في غرفة المكتب، وبدأت معالم التعب تظهر على ملامح المفتش والسيدتين اللتين كانتا برفقته بعد قضائهم ما يزيد على الثلاث ساعات في الاستماع للمشتبه فيهم، رفع المفتش غريغوريوس كمي قميصه، وتناول علبة السجائر الخاصة به من فوق المنضدة، ثم اتجه نحو نافذة المكتب.. فتحها وأشعل السيجارة، وقد بدا تفكيره مشتتًا وهو يحاول استجماع خيوط هذه القضية وسط الدخان الكثيف الذي شكَّل سحابة رمادية تسربت إلى داخل الغرفة كالضباب.. بينما كانت إيريني تعيد تجميع أهم النقط التي جاءت في تصريحات الأطراف، على شكل ملاحظات وكلمات متقطعة خطتها في مذكرتها الصغيرة..

فكرت إيريني أن الاستماع إلى أفراد العائلة لم يسفر عن أية نتائج فعلية ما عدا بعض المعلومات القليلة، وها هو التحقيق يكاد ينتهي، وما زالت لم تحسم بعد في هُوية الشخص الأقرب لارتكاب هذه الجريمة أو كيفية ارتكابها على وجه التحديد.. كل ما لديهم مجرد خطوط وتخمينات وسراب.. جميع من في القصر كانت لهم

حجج غياب لا يوجد من يؤكدها سواهم.. وجميعهم كانوا يملكون فرصًا متساوية لارتكاب الجريمة..

لكنهم يشتركون، وهذا هو المرجح، في دافع واحد هو المال.. ثم ما قصة الوصية التي لم يتوقفوا عن الحديث عنها منذ قدومها إلى القصر.. احتمالات كثيرة تحتاج مزيدًا من التمحيص، نظرت إيريني إلى المفتش ورأته مستغرقًا في استنشاق دخان سيجارته المحترقة، وفكرت أنها ربما طريقة تساعده على التفكير.. إنه حتمًا لم يصل إلى نتيجة مرضية.. فربما كان ما يشغلها هو نفسه ما يشغل فكر المفتش غريغوريوس..

بعد لحظات قطعت الضابطة أثينا حاجز الصمت الذي كان يسيطر على سكون الغرفة، وقالت:

- سيدي، بقي لنا شخص واحد لم نستمع له، هل أدخله؟!

تنبه المفتش لها وبدا وكأن حواسه تيقظت فجأة من جديد، ثم أجاب:

- نعم، طبعًا، طبعًا.. دعينا ننتهي من الأمر.. نادي على السيد ديمتري رجاءً!

أقبل ديمتري وبدا متلهفًا ومترعجًا من كل ما حدث، ونطق قبل الجميع موجهًا حديثه لمفتش البوليس:

- أنا أعرف هوية الفاعل يا سيدي.. لقد شاهدته صباحًا عندما كنت منطلقًا في نزهتي الصباحية، لكنني لم أتوقع بأنه سيقدم على هذا الفعل الجرمي!

عم السكون المكان فورًا، وتفاجئ الجميع، ثم سمعت أصوات قهقهات عالية تتردد في أرجاء الغرفة.. التفت المفتش إلى مصدر الصوت.. كانت الآنسة إيريني تضحك وكأنها تعاني من حالة هستيرية.. وأمام نظراتهم المستفسرة مسحت إحدى عينيها بيدها ثم قالت:

- اعذروني على ردة فعلي.. لكن أليس أمرًا يدعو إلى السخرية، لأننا منذ الصباح ونحن منهمكين في البحث عن هوية القاتل في حين أن هناك شاهدًا عاين كل شيء.. ما الذي رأيته يا ديمتري؟ أخبرنا!

قال المفتش بحزم:

- ولِمَ لَمْ تأتِ لتطلعنا على ذلك في وقت سابق؟
- لقد حدث كل شيء بسرعة.. أردت تصفية ذهني وترتيب أفكاري قبل ذلك!
- حسنًا، وما الذي شاهدته؟

- لقد رأيت البستاني نيكوس في غرفة المشتل في الصباح الباكر، استغربت من الأمر فتبعته وراقبته بهدوء.. كان يعبث بقنينة المبيد التي يستخدمها عمي في طرد بعض الحشرات الضارة من مشتله.. ثم أقبل عمي نيكولاس، ويبدو أنه كان مترعجًا من شيء ما، فصرخ في وجهه بكلام لم أفهمه.. وقد تبعه نيكوس إلى المشتل حانقًا، تناهت إليَّ أصواتهم العالية قبل أن يعم السكون المكان.. اعتقدت أن الأمور قد هدأت عندما رأيت نيكوس يقطع الممر بخطوات مسرعة ووجه محتقن..

- ألم تعد للاطمئنان على عمك؟

- لا، فأنا لم أرغب في إفساد نزهتي الصباحية بمواجهة موجات غضبه، لذلك انصرفت!

- وهل تذكر كم كانت الساعة آنذاك؟

- أعتقد أنها كانت تشير إلى الثامنة.

كان المفتش يفكر طوال الوقت ويهز رأسه بين الفينة والأخرى، ثم قال:

- ولكن ما أخبرتنا به يا سيد ديمتري لا يعدو أن يكون مجرد تخمينات لا أساس لها من الصحة، فأنت لم ترَ شيئًا!

- لكنني متأكد يا سيدي من أنه الفاعل!

- وكيف لك أن تتأكد؟

- لأنني رأيت وجهه، لقد بدا نيكوس كأنه رأى شبحًا عندما غادر المشتل، كانت يداه ترجفان، وظل يلتفت يمينًا ويسارًا كمن يتأكد من أن المكان خالٍ ولا أحد شاهده! سألت نفسي آنذاك: تُرى ما الذي أصابه..؟ فقلت إن مواجهة غضب عمي كفيل بأن ينسف شجاعة أي رجل، ولكني عرفت الحقيقة فيما بعد.. إن لنيكوس طفلةً صغيرةً في سن العاشرة، وهي تعاني من ضمور في عضلة القلب، لم يكن في وسع نيكوس تحمل تكاليف العملية، وقد سمعته يطلب مساعدة مالية من عمي، لكنه استهزأ به قائلًا بأنه لا يدير جمعية خيرية، وأنه ينبغي عليه تحمل نفقات رعاية أسرته بنفسه بدل تسول الصدقات..

- ومتى كان ذلك؟

- قبل يومين من الآن!

قال غريغوريوس وهو ينهض:

- حسنًا، إن كان ما تقوله صحيحًا يا سيد ديمتري، فحريٌّ بنا المناداة على البستاني حالًا!

هتف ديمتري قائلًا:

- أخشى بأنكم قد تأخرتم يا سيدي المفتش، فهو غير موجود!

تكلم المفتش مندهشًا:

- ما الذي تقصده؟

- بعد أن ربطت الأحداث، توجهت إلى منزله في الحديقة الخلفية لمواجهته.. لكنني لم أجد أحدًا.. لقد اختفى بكل بساطة!

***

الخادمة العجوز

كان باب المطبخ مفتوحًا تفوح منه رائحة ذكية، ذكرت إيريني بمطبخ جدتها الريفي.

كانت الخادمة العجوز هيلين منهمكة بوضع صينية بالفرن ولم تلحظ دخول إيريني، أصدرت هذه الأخيرة نحنحة بصوتها لتنبه الخادمة إلى حضورها.

نظرت هيلين من فوق كتفيها إلى الخلف، ثم اعتدلت بوقفتها قائلة:

- اعذريني يا آنستي، لم أشعر بوجودك.. هل أخدمك بشيء؟

أجابت إيريني:

- بل أنا من يجدر بها الاعتذار، هل أخفتك؟
- لا أبدًا.. لقد كنتُ شاردة البال..

أمعنت إيريني النظر إلى الخادمة وقالت بلطف:

- هل يمكنني الحصول على كوب قهوة!
- طبعا.. أمهليني دقيقة..

- وهل يمكنني أن أسألك في ماذا كنت شاردة يا سيدة هيلين؟

بدت العجوز مرتبكة شيئًا ما قبل أن تجيب وقد سرحت بنظرها مجددًا:

- طبعًا.. كما تعلمين الأحداث الأليمة التي توالت على هذا البيت.. أولًا موت السيد نيكولا، ثم مقتل السيد نيكولاس المفجع.. وحالة الحزن التي تعيشها السيدة أولغا وأفراد العائلة، كل ذلك أعاد لي الذكريات السيئة التي حدثت في الماضي..

توقفت الخادمة العجوز فجأة وبدت مرتبكة أكثر، وكأنها أسرفت في الكلام، ثم سارعت لتضع فنجان القهوة الساخن على الطاولة أمام "إيريني"، وقد عادت لتحفظها المعتاد، ثم قالت بوجه متجهم:

- أرجو أن تعذريني يا آنستي على ثرثرتي، تفضلي فنجانك!

ردت عليها إيريني بهدوء في محاولة لتلطيف الجو:

- لا أبدًا، أقدر بأن وفاة السيد نيكولاس كانت حدثًا مؤلمًا على الجميع بمن فيهم أنت.. ثم تابعت في محاولة للحصول على بعض الفتات.. أعتقد جازمة بأنك ربيته مذ كان طفلًا، أليس كذلك سيدة هيلين؟!

بدت هيلين حذرة، لكنها أجابت على الرغم من ذلك:

- هذا صحيح آنستي.. يمكنك القول بأنني ربيته هو والسيد إيفان.. لقد كانا طفلين رائعين!

- حقًّا! عندما أتيت إلى هنا لم أكن أعلم بأن للسيد نيكولاس شقيقًا حتى التقيت بديمتري، وبدا لي أنه يشبه طفلًا كنت قد التقيته بمنزل جدتي عندما كنت صغيرة.. اعتقدت آنذاك أن ديمتري لا بد أن يكون ابن السيد نيكولاس، لأنني كنت أحسب هذا الأخير ولدًا وحيدًا.. ولم أعلم بوجود إيفان حتى أخبرني بذلك ديمتري..

التمعت عينا هيلين للحظة، وخُيل لإيريني أنها رأت شبح ابتسامة حزينة تعلو محياها.. وقالت الخادمة العجوز:

- لقد كان السيد إيفان طفلًا مشاكسًا كثير الحركة ونشيطًا على الدوام، وعندما أصبح شابًّا صار أكثر طيشًا وتمردًا، على عكس السيد نيكولاس الذي كان حكيمًا وهادئًا في أغلب الأحيان، يميل إلى تمضية جل أوقاته في المكتبة.. وربما هذا هو سبب الخلاف الدائم الذي كان بين السيد إيفان ووالده السيد نيكولا.. لقد كان الشابان يحملان رؤًى مختلفة للحياة..

- يبدو أنك كنت تحبين السيد إيفان، وكنت تعتبرينه ابنًا لك.

انتفضت العجوز، وبدا في كلامها اعتراض طفيف:

- لقد أحببتهما معًا بنفس الطريقة.. لكنني كنت أشفق قليلًا على السيد إيفان لأنه كان شخصًا طيبًا لم يجد من يفهمه، وذلك ما دفعه إلى مسالك لا تليق بشخص نبيل مثله..

حدجتها إيريني بنظرات مستفسرة تدعوها إلى مزيد من التفسير، لكن العجوز توقفت على حين غرة بعد دخول السيدة أولغا إلى المطبخ فجأة.

وجهت أولغا كلامها إلى إيريني وقد بدت محتدة:

- أرى أنك لا تضيعين وقتك يا آنسة، ألم تنتهِ التحقيقات الرسمية قبل يومين؟ فإلامَ ترمين من خلال استدراج هيلين للنبش في ماضي عائلتي..

التفتت إيريني بهدوء فور سماعها صوت السيدة أولغا، وقالت:

- أرجو المعذرة سيدة أولغا، لقد كنا نتبادل أنا والسيدة هيلين أطراف الحديث فقط.. ولم أقصد التدخل في شؤون عائلتك بقدر ما أردت التعرف أكثر على أفراد عائلتي..

- توقعت منك احترامًا أكبر للحزن الذي نمر به كعائلة، فلم يمضِ سوى يومين على تشييع جنازة ابني الأكبر، وها أنت تثيرين جرحًا قديمًا من خلال استفسارك عن ابني الأصغر..

بدتْ نظرات أولغا حادة حين تلفظت بكلماتها، لكن العبارات انكسرت فجأة عند ذكر ابنها الأكبر، كأن الذكرى كانت أقوى من قدرتها على الصمود.. عمت لحظة من الصمت، بدت السيدة أولغا وكأنها تحدق في الفراغ، قبل أن تحول نظرها إلى النافذة، حيث تتمايل الأشجار في نسيم خفيف.

لاحظت إيريني ملامح السيدة أولغا المتعبة، وجهها الشاحب، وكأن الدموع جعلته يفقد كل لونه، ظهرها المشدود كمن يحاول التماسك، لكن عينيها متعلقتان بالأرض، تحاول ألا تنهار مجددًا. حين تكلمت، بدا صوتها مرتجفًا برغم صلابته الظاهرة.. أشفقت إيريني على حال السيدة العجوز ثم خاطبتها معتذرة:

- أرجو أن تتقبلي اعتذاري سيدة أولغا، وتأكدي أنني لم أقصد التسبب في جرح مشاعرك..

نظرت إليها السيدة أولغا وأطرقت برأسها بحركة سريعة، ثم انصرفت.

***

نيكوس البستاني

في صباح اليوم الثالث بعد مقتل نيكولاس، كانت إيريني تتجول بالحديقة، محاولة الوصول إلى المنزل الخلفي حيث كان يقيم البستاني نيكوس، تذكرت أن الفرصة لم تتح لها بعد لتفقده بعد يوم الجنازة.

عادت بها الذاكرة إلى صباح يوم الجنازة، بعد مقتل السيد نيكولاس، حيث ظهرت معلومات جديدة أدت إلى إثارة العديد من الشكوك حول اختفاء نيكوس البستاني، الذي كان يعمل لدى العائلة منذ سنوات.. كان نيكوس رجلًا بسيطًا من أصل فقير، ولم يكن يمتلك الكثير من الطموحات سوى العيش بسلام والعمل بجد من أجل رعاية ابنته المريضة.. لكن حياته أخذت منحًى مختلفًا منذ أشهر، عندما بدأت مشاكله المالية تتزايد بسبب إدمانه على القمار، وهو ما جعله يقع في دائرة من الديون التي تهدد استقراره واستقرار حياة ابنته التي كانت تمثل أسرته الوحيدة.
عندما تحدثت مع المفتش غريغوريوس حول الأمر، بدأ التحقيق في هذا الاتجاه.. جميع القرائن تشير إلى أن نيكوس كان في حالة نفسية هشة بسبب رفض نيكولاس مساعدته، وكان يواجه صراعًا داخليًّا حول كيفية تدبير الأموال لعلاج ابنته المريضة. لكن، هل

كان لديه ما يكفي من القوة والدوافع لقتل نيكولاس؟ أو أنه كان يختبئ خوفًا من تورطه في الجريمة؟

فتحت إيريني مذكرتها التي خطت فيها مجموعة من الملاحظات والمعلومات، ثم قلبت صفحاتها قبل أن تركز عينيها على إحدى الصفحات حيث كتبت اسم نيكوس البستاني:

الدوافع المحتملة:

1.الضغط المالي: كان نيكوس في وضع صعب للغاية، وكان يعلم أنه إذا لم يتمكن من الحصول على المال لعلاج ابنته، فسينتهي به الحال إلى خسارة كل شيء. وعندما رفض نيكولاس مساعدته، ربما شعر بالإهانة، خاصةً أن نيكولاس كان يعرف كل شيء عن مشاكله المالية.

2.الدافع العاطفي: يمكن أن يكون دافع نيكوس لقتل نيكولاس ليس فقط بسبب المال، بل بسبب الإهانة والشعور بالإذلال. كان نيكولاس يمثل السلطة في حياة نيكوس، وكان يضغط عليه بقسوة، مما جعله يشعر بأن حياته قد تدمرت تمامًا. هذا الضغط العاطفي قد يكون هو السبب الذي جعل نيكوس يفقد السيطرة على نفسه ويقوم بفعل متهور.

3.اختفاؤه المريب: بعد مقتل نيكولاس، اختفى نيكوس دون أي أثر، ما أثار المزيد من الشكوك حول تورطه في الجريمة. ربما كان يخطط للهروب بعد ارتكاب الجريمة، لكن بعد أن شعر بخطر التحقيقات، قرر الاختفاء بشكل كامل، ليهرب من العدالة.

بعد تواصل إيريني مع المفتش غريغوريوس، أخبرها هذا الأخير بأنه أصدر أمرًا للبحث عن نيكوس في كل مكان ممكن، وكلف رجالًا لمراقبة الأماكن التي كان يرتادها عادة، بما في ذلك المنازل المهجورة القريبة من القصر.. وفي أثناء بحثهم، اكتشفوا أن نيكوس كان يخطط للهروب إلى مدينة مجاورة كان قد زارها مرات عديدة خلال السنوات الأخيرة.

في النهاية، بعد البحث المستمر، تم العثور عليه في أحد الأماكن النائية خارج المدينة، وقد بدا يعاني من الإرهاق الشديد.. وعندما تم استجوابه، اعترف بأن شجارًا وقع بينه وبين نيكولاس في تلك الليلة، ولكن لم يكن لديه أية نية لقتله.. قال إنه ترك المكان بعد الشجار، لكنه كان يظن أن نيكولاس لا يزال حيًّا.

نيكوس كان شخصًا شريفًا في جوهره، لكنه ضاع في دوامة من المشاكل، وقد اعترف أمام المفتش غريغوريوس بأنه شعر بالإهانة عندما رفض نيكولاس مساعدته، وكان هذا هو السبب الرئيسي في الشجار العنيف الذي دار بينهما.. ومع ذلك، وبعد الشجار

الذي اجتاز حدود اللياقة والأدب في تلك الليلة، بدأ نيكوس يفكر في الموقف أكثر، وأدرك أنه في النهاية، كان يدين لهذا الرجل بشيء، خاصةً بسبب العلاقة الطويلة التي جمعتهما منذ أن كانا طفلين، وأيضًا بسبب المدة الطويلة التي قضتها أسرته في خدمة عائلة ليفانوس.. وفي اليوم التالي، قرر نيكوس الاعتذار من نيكولاس.

في صباح يوم الجريمة أرسل نيكولاس لنيكوس ليخبره بأنه قرر التكفل بمصاريف علاج ابنته، وأعطاه المبلغ الذي كان يحتاجه. كانت تلك لحظة غير متوقعة بالنسبة لنيكوس، لأنه لم يكن يتوقع من نيكولاس أن يتراجع عن موقفه القاسي ويعطيه المال بعد الشجار.. وهكذا اعترف نيكوس بأنه شعر بمزيج من الدهشة والارتياح، لكنه لم يستطع التخلص من شعور الخوف بسبب العواقب المحتملة لسلوكه السابق، خاصة بعد الخلاف الحاد مع رب عمله. وعلى الرغم من تلقيه المساعدة المالية، فقد ظل يشعر بالذنب تجاه الموقف الذي وقع بينهما.

لذلك بعد أن تلقى المساعدة المالية من نيكولاس، كان نيكوس في حالة من التردد.. ولم يكن يعلم كيف يعبر عن امتنانه لرب عمله.. وبعد تفكير مطول قرر أخيرًا التوجه إلى الحديقة لشكره.. عند هذه النقطة، سأل المفتش غريغوريوس، نيكوس، قائلًا:

- وما الذي حدث بعد ذلك؟

أجاب نيكوس بتردد:

- حسنًا، كما أخبرتك يا سيدي، لقد توجهت إلى الحديقة من أجل الاعتذار من السيد نيكولاس وفي نفس الوقت لأشكره على مساعدته، لكن..

حثه المفتش على الحديث قائلًا:

- لكن ماذا يا سيد نيكوس، استمر رجاءً..

- حسنًا، لا أريد أن أتهم أحدًا، لكنني سمعت صوت شجار عنيف بين السيد نيكولاس والسيد بيتر.. ثم شاهدت هذا الأخير يسير بخطًى مسرعة نحو سيارته، وكان وجهه محتقنًا..

خاطبه المفتش قائلًا:

- وهل سمعت شيئًا حول موضوع الشجار؟

طأطأ نيكوس رأسه قليلًا مفكرًا، ثم أجاب مؤكدًا:

- أنا أسف، لم أسمع شيئًا.

- وهل تحدثت إلى السيد نيكولاس بعد ذلك؟

- في الحقيقة ارتأيت أن الوقت كان غير مناسب، لذلك تراجعت.. وبعد تفكير قررت أن أرحل نهائيًّا عن القصر لأنني شعرت بأن موقفي كان سيئًا ولن يصلحه الاعتذار.

وهكذا اتضح للشرطة بأن اختفاء نيكوس كان مجرد محاولة يائسة للهروب من التصرف المتهور الذي أقدم عليه في تلك الليلة، لكنه لم يتوقع أن الأمور ستصل إلى هذه النتيجة المأساوية، وبعد الجريمة استمر في الهروب خوفًا من أن يُشتبه فيه كفاعل بسبب شجاره الأخير مع نيكولاس..

لكن السؤال الذي استمرت إيريني في طرحه هو لماذا أكد ديمتري أنه قد رأى الشجار الذي جمع بين نيكوس ونيكولاس في الصباح الذي ارتُكبت فيه الجريمة، وقد بدت عليه علامات الارتجاف والخوف، وتأكيده على أنه رآه في حالة من التوتر الظاهر.. لقد كاد يجزم في شهادته بأن نيكوس هو القاتل، هل كان الأمر مجرد خطأ في الاستنتاج وتأويل تصرفات نيكوس بطريقة خاطئة، أم كانت محاولة منه للتمويه عن الحقيقة؟ ومن جهة ثانية هناك تصريحات نيكوس الذي صرح هو الآخر بأنه سمع السيد نيكولاس يتشاجر مع بيتر، كما أكد بأنه شاهد هذا الأخير يغادر المكان وهو غاضب، هل هي قصة اخترعها نيكوس لكي يبعد نفسه عن الشبهات، أم أنه كان صادقًا فعلًا؟ لا شك أن أحدهما كاذب..

لكن من هو ديمتري أم نيكوس ولماذا؟

وبينما كانت إيريني تتجول في الحديقة، وقد حاصرتها الأسئلة، تزاحمت مجموعة من الاحتمالات في ذهنها: هل يمكن أن نيكوس

توجه فعلًا من أجل الاعتذار من نيكولاس، وصدف أنه عاين لحظة انهيار هذا الأخير أمامه، فكان رد فعله الهروب خوفًا من أن تلصق به التهمة؟ يبدو هذا منطقيًّا إذا صح ما قاله ديمتري بخصوص حالة نيكوس النفسية ذلك الصباح.. ثم تذكرت فجأة بأنها أغفلت تفاصيل استجواب ديمتري عن يوم وقوع الجريمة.. فكرت هل يجب عليها الاتصال بالمفتش غريغوريوس لتطلب منه تزويدها بمحضر أقواله، أم أنها يجب أن تسلك مسلكًا آخر وتحاول الحصول على المعلومات بطريقتها الخاصة من ديمتري مباشرة؟.. ثم قررت أنها ستتبع الخيار الأخير.

***

-5-

المشتل

كانت الساعة تشير إلى الخامسة فجرًا، عندما تقدمت إيريني إلى غرفة المشتل الكائنة في طرف الحديقة الغربية للقصر، كان الزجاج المصنفَر يغطي النوافذ، والرطوبة تتكاثف على الجدران.. رائحة التربة والمبيدات العتيقة تعبق في الهواء.

تقدمت إيريني لوحدها، حاملة كشافًا صغيرًا ودفترها الجلدي.. تقف أمام باب المشتل المغلق بشريط شرطة مهترئ.

تمتمت إيريني لنفسها:

- "لماذا يأتي رجل مثله إلى هنا في جو بارد كهذا؟ ولماذا يموت جالسًا على كرسي، بيدين مشدودتين كأنه تشنج قبل أن يسقط؟"

- تدفع الباب.

رائحة غريبة تستقبلها، ليست عفنًا.. بل شيء خافت، لاذع، مثل أثر كيماوي خفيف لا يزول.

- تضيء الكشاف.

- الكرسي ما زال هناك..

الطاولة الصغيرة التي وضع عليها نيكولاس فنجانًا من الشاي، ونبات أوركيد مزهر.
لكن ما يشد انتباهها ليس هذا.. بل المدفأة الغازية الصغيرة في الزاوية، موصولة بأنبوب غاز معدني قديم.

تقترب، تركع أمامها.. تمرر إصبعها فوق الصمام.. تلاحظ بقعة دهنية شفافة.. تشتمها.. لا رائحة.
تغمض عينيها.

إيريني بصوت بارد:

- "سارين.. أو شيء يشبهه".

تلتفت حولها.. تلاحظ النافذة مغلقة بإحكام، وغطاء قهوية مغلق بمسمار.. تفتح دفترها.

- "نيكولاس توفي دون أي علامات واضحة.. لكن الطاقم لاحظ اتساعًا في حدقة العين، وتيبسًا عضليًّا غير مفسر".

تذكرت شيئًا.. مشهدًا سابقًا في المطبخ:

"الخادمة العجوز، هيلين كانت تقول:

- "السيد نيكولاس لا يشعل المدفأة إلا في الشتاءات الباردة جدًّا، كان يكره رائحتها". فكرت إيريني بإمعان، لكن الليلة التي مات فيها.. لم تكن باردة.

ترفع نظرها إلى السقف.. ترى قطعة معدنية صغيرة عالقة في فتحة التهوية.. وكأن شخصًا ما وضع شيئًا فيها.

تقف فجأة.. تقترب من الطاولة.. تفحص الكوب.

- بقعة صغيرة، على شكل دائرة زيتية، على حافة الفنجان.

إيريني بهمس:

- "ليس الشاي.. بل الهواء".. تتراجع خطوتين.

- "نيكولاس قُتل بطريقة تجعل موته يبدو طبيعيًّا. المجرم كان ذكيًّا وظن أنه لن يُكتشف. لكنه ارتكب خطأً واحدًا.. نسي أن الغازات لا تختفي. بل تختبئ".

ابتسمت بمكر وقالت:

- كشفتك، لم يبقَ سوى أن أعثر على دليل قاطع ضدك..

ثم غادرت المشتل..

-6-

السيدة كسينيا

بعد بضعة أيام من الحادثة المأساوية في الحديقة، قررت إيريني أن تفي بوعدها وتزور السيدة كسينيا، الجارة التي التقتها في الجنازة.. كانت كسينيا معروفة بثرثرتها وفضولها الزائد، الذي كان ينبع من حبها للاطلاع على أسرار الآخرين وإشراكهم في قصص جديدة، حتى وإن كانت تلك القصص مليئة بالخيال والتكهنات، لقد كانت حقًّا سيدة الأخبار والشائعات على الجزيرة.. وقد شعرت إيريني ببعض الفضول حول ما قد تعرفه كسينيا عن عائلة نيكولاس، ولا سيما أنها كانت قد ألمحت لها في الجنازة إلى أنها على دراية بالكثير من الأمور التي قد تكون مفيدة.

وصلت إيريني إلى المنزل الصغير الذي كان يقع في الزاوية الجانبية للشارع، بدا وكأنه قطعة من الزمن القديم.. عند مدخل المنزل، كان الباب الخشبي القديم يفتح على حديقة جميلة مليئة بالأشجار والزهور المبهجة.. كانت الحديقة تنبض بالحياة، والنباتات الملونة تبدو وكأنها مرسومة بعناية، وقد كانت الغرابة في التنسيق هي

السمة البارزة للمكان، فبدت وكأنها مجهود جماعي من صنع أيدٍ فوضوية.

المنزل نفسه كان بسيطًا في تصميمه، لكنه كان يحتوي على نفحات من الفخامة الكلاسيكية، حيث كانت الجدران مزينة برسومات وزخارف يونانية تقليدية.. كانت النوافذ العتيقة تحجب الضوء قليلًا، لكن الزخرفة الفخمة على الجدران تعكس إشراقًا غريبًا، لقد كان المنزل تمامًا كما يُقال "يعكس روح مالكته".

وبينما دقَّت إيريني الباب، فتحته السيدة كسينيا التي كما يبدو كانت تراقب الطريق من أعلى شرفة منزلها.. ظهرت كسينيا بمظهرها الفخم المعتاد: بذلة من قماش غريب بألوان صاخبة، شعر كثيف ومجعد يحيط بوجهها الممتلئ، وعينان لامعتان بدتا وكأنهما لا تفوتان أي تفصيل في المكان.. ابتسمت ابتسامة عريضة، على الرغم من أن وجهها كان يفتقر إلى الكثير من الجمال التقليدي، لكنها كانت قادرة على جذب الانتباه بشخصيتها العَفْوية وحركاتها المبالغ فيها والمتسارعة.

"أهلًا وسهلًا! تفضلي بالدخول، يا عزيزتي! لا أصدق أنك وافقتِ على زيارتي في منزلي المتواضع، كما أنني لا أستطيع الانتظار لأشاركك بجميع الأسرار التي لا يعرفها أحد سواي عن عائلة

نيكولاس!" قالت السيدة كسينيا، وهي تشير بيدها إلى "إيريني" لتدخل إلى الصالون.
أجابتها إيريني مبتسمة وهي تدخل:

- أشكرك على دعوتك سيدة كسينيا.. لقد كنت بحاجة لبعض الوقت بعيداً عن الزحام، وربما يساعدني حديثك في فهم بعض الأمور التي تبدو غامضة.

وبينما كانت إيريني تتجول بعينيها داخل المكان، لاحظت أنه مزدحم بالأثاث القديم، مع لمسات من الزخارف المتباينة التي تُظهر جمالية المكان، لكنها تجلب شعوراً بالازدحام والفوضى.. الجدران مليئة بالصور العائلية المعلقة بشكل عشوائي، وبعض التماثيل اليونانية التي تجسد الآلهة القديمة، بالإضافة إلى بعض القطع الخزفية اللامعة التي تتناثر هنا وهناك. كل شيء في هذا المنزل كان يوحي بطابع من العراقة والثراء، ولكن بأسلوب فوضوي وغير مرتب كما كانت شخصية مالكته.
قالت السيدة كسينيا، بينما أشارت بيدها إلى إيريني للجلوس على أحد الأرائك المريحة: "اجلسي هنا، يا عزيزتي. هل تودين فنجان قهوة؟" ثم عادت بسرعة لتجلس على أحد المقاعد الصغيرة، محاطةً

ببعض الطاولات المبعثرة والكتب التي يبدو أنها لم تلمسها منذ سنوات.

جلست إيريني على الأريكة، وقالت بتركيز:

- أنا هنا للاستماع.

جلست السيدة كسينيا قبالة إيريني، وهي تنظر حولها بحذر قبل أن تبدأ الحديث:

- حسنًا، بدايةً، دعيني أخبرك عن إيفان وأوجين.. لا أعرف إذا كنتِ قد سمعتِ عن علاقتهما المتوترة، ولكن الأمور بينهما كانت دائمًا مضطربة.. لقد كان إيفان في الآونة الأخيرة دائم الشك.. كان يشك في كل شيء، حتى في ديمتري، ابنهم.. سمعت أنه كان يعتقد بأن ديمتري ليس ابنه البيولوجي، بل كان يرى فيه مجرد "طفل غريب" في العائلة.

في هذه الأثناء، أجابت إيريني مستغربة:

- ولكن لماذا كان إيفان يشك في ديمتري؟ إذا كان هو من قام بتربيته، لماذا هذه الشكوك؟

ردت كسينيا بصوت خافت، وكأنها تتأكد من أن لا أحد يسمع حديثها:

- آه، هذا هو السر الأكبر.. لقد كانت أوجين تحتفظ دائمًا بحب قديم لنيكولاس، وهو ما جعل إيفان يشك في أن ديمتري ليس ابنه.. كان نيكولاس الابن الأصغر قريبًا جدًّا من أوجين في الماضي، ولقد تفاجأ الجميع بزواجها من إيفان بدلا من نيكولاس..

سألت إيريني بحذر:

- إذن، هل تعتقدين أن ديمتري قد يكون ابن نيكولاس؟ هل هذا ما تعتقدين؟ ضحكت السيدة كسينيا بشكل منخفض، ثم هزت رأسها ببطء:

- لا أستطيع الجزم، لكن كل شيء يشير إلى ذلك.. كانت أوجين دائمًا متعلقة به، حتى بعد زواجها من إيفان.. كان نيكولاس هو الرجل الذي أحبته، لكن كما تعلمين، الزواج شيء، والحب شيء آخر.. وإيفان المسكين كان يعيش في دوامة من الشكوك. لا أستطيع أن أخبرك كم كان غيورًا، وأعتقد أنه لم يصدق أبدًا أنه كان الأب الحقيقي لديمتري.

كان صوت السيدة كسينيا يرتفع تدريجيًّا، ويداها تتحرك بتوتر، بينما بدأت تروي قصة الشك والغيرة بين الزوجين.. استمعت إيريني بانتباه، لكن بدا عليها أنها تفكر في شيء أكبر من مجرد

الشائعات التي كانت تسردها الجارة.. لقد كان حديث السيدة كسينيا يتناقض بشكل ما مع الصورة التي كانت تحملها عن هذه العائلة المعقدة.

كان حديث السيدة كسينيا كالسيل الجارف، مملوءًا بالأسرار، وفي لحظة كانت إيريني تشعر بأن شعاعًا من الضوء قد بدأ ينكشف أمامها بوضوح أكثر من أي وقت مضى.

وبينما كانت إيريني غارقة في تفكيرها، أعادها صوت السيدة كسينيا إلى الواقع، ثم سألتها بعد تفكير عميق:

- هل تعتقدين أن هذا الصراع هو ما أدى إلى الانتحار المأساوي لإيفان؟

تنهدت كسينيا، وهي تستدير نحو النافذة، ثم قالت:

- نعم أعتقد ذلك، لقد كان في حالة نفسية مزرية.. وربما كان يشعر بأن كل شيء ينهار من حوله.. لا أحد يعرف ماذا كان يدور في رأسه.. على أي حال، مات إيفان منتحرًا، وكل ذلك بسبب الغيرة والشعور بالخيبة؛ أما أوجين.. فلم تكلف نفسها عناء المجيء إلى الجنازة.. هناك إشاعات بأنها غادرت الجزيرة في تلك الليلة المشؤومة ولم تظهر بعدها مجددًا.. لا أعتقد أنها حزنت

كثيراً.. كان الرجل الذي تزوجته قد مات، ربما كانت محبطة، مثلها مثل الجميع.

قالت إيريني بتفكير عميق، ثم بصوت هادئ:

- يبدو أن عائلة ليفانوس مليئة بالأسرار.. لكن، هل لديكِ فكرة عن السبب الذي جعل إيفان يموت بهذه الطريقة؟

نظرت إليها كسينيا بتردد، ثم تساءلت:

- هل تعتقدين أن جريمة قتل نيكولاس لها علاقة بما حدث في الماضي؟ في الحقيقة، لا أظن ذلك.. ولا أستطيع أن أخبرك كيف كانت أوجين خائفة بعد موته لتهرب من الجزيرة ليلًا، بدون أن تأخذ ديمتري معها.. لقد كان تصرفها غريبًا..

قالت إيريني مجددًا:

- ربما كل هذا يتعلق بالثروة والميراث، ألا تعتقدين ذلك؟ هناك الكثير من الأسرار التي لم تُكشف بعد.

ابتسمت كسينيا ابتسامة غامضة، ثم قالت:

- عزيزتي، أظن أنك على الطريق الصحيح.. إذا كان هناك شيء واحد أكيد في هذا المترل، فهو أن لا أحد يعرف ماذا سيحدث غدًا.. عائلة ليفانوس مليئة بالأسرار المظلمة، وما زال هناك الكثير لتكتشفيه.

سألت إيريني مجددًا:

- سؤال آخر وأخير يحيرني، ما الذي حدث لأوجين بعد ذلك، لا أحد يتحدث عنها في العائلة.. هل لديك فكرة عما حدث بعد ذلك؟

أجابت السيدة كسينيا، وقد بدا عليها التردد لأول مرة:

- لا أحد يعلم.. كانت هناك شائعات تقول بأن السيد نيكولا العجوز قد طردها بتحريض من السيدة أولغا بعد انتحار ابنهما إيفان، ولم يسمحوا لها بأن تأخذ ديمتري معها.. لكنها محض شائعات، من يعلم ماذا حدث بالضبط؟!

***

إيفان وأوجين

بعد خروجها من بيت السيدة كسينيا، شعرت إيريني وكأن رأسها سينفجر من كثرة الشائعات التي سمعتها منها، اعترفت في سرها بأن السيدة كسينيا حقًّا سيدة الخبر على الجزيرة.. ابتسمت وهي تستمتع بالهواء المنعش الذي يلامس وجهها.. ثم سحبت المذكرة الصغيرة من جيب معطفها لتعيد قراءة الملاحظات التي جمعتها حول عائلة ليفانوس.. لم تهدأ أفكارها المتشابكة بعد التحقيق مع أفراد العائلة في ليلة مقتل نيكولاس، حتى بدأت تتخيل الخيوط المتشابكة التي قد تكون وراء ارتكاب تلك الجريمة.

ربما ترتبط جريمة قتل نيكولاس بخيوط قديمة، يكون سببها العلاقات المتوترة في العائلة، خصوصًا بين إيفان وأوجين.. ورغم أنها كانت قد سمعت بعض القصص المشبوهة عن هذين الزوجين، إلا أن هناك شيئًا في ذهنها كان يرفض تصديق أن مقتل نيكولاس لا يعدو أن يكون مجرد حادث عابر أو قضية عائلية بسيطة.

قررت أن تبدأ من نقطة البداية.

- إيفان وأوجين، لماذا كانت علاقتهما متوترة إلى هذه الدرجة؟

فكرت إيريني وهي تتحسس الورقة التي كانت تحتوي على ملاحظات حول اختفاء أوجين بعد انتحار زوجها.. كان من الواضح أن هناك شيئًا خفيًّا..

انتبهت إلى الملاحظات حول إيفان، الابن الأصغر لعائلة ليفانوس، هل كان يعاني حقًّا من الغيرة المفرطة نحو شقيقه نيكولاس.. وهل من الممكن فعلًا أن تكون هذه الغيرة هي التي أدت به إلى اتخاذ خطوات متطرفة، قد تكون مرتبطة بموت نيكولاس؟ هل وصلت الأمور حقًّا بين الشقيقين إلى درجة لا يمكن معها العودة؟

ثم انتقلت أفكارها إلى أوجين، الزوجة التي وصفها الجميع بأنها كانت سيدة طيبة ومرحة قبل أن تتحول إلى امرأة كئيبة بعد زواجها من إيفان.

بدأت إيريني ترى أن هذه التحولات الشخصية قد تكون مرتبطة بطريقة أو بأخرى بالعائلة نفسها، ربما بتدخلات مباشرة من نيكولاس أو ربما هي محض تأثيرات من حياتها مع إيفان، الذي أصبح مريضًا بالشك والغيرة.

"هل اختفاء أوجين له علاقة بموت نيكولاس؟ وأين اختفت؟ ولماذا؟؟ هل هي بريئة حقًّا، أم أنها كانت تخفي شيئًا ما؟ وديمتري، أين دوره في كل هذه الأحداث؟"

كانت هذه الأسئلة التي واصلت إيريني طرحها على نفسها، كلها تقودها إلى مسألة أخرى كانت قد ألمحت إليها سابقًا.. هل من الممكن أن يكون هناك رابط بين حادث موت إيفان ووفاة نيكولاس؟

بدأت تبحث في الحوادث التي وقعت في الأشهر التي سبقت الجريمة.. كانت أوجين قد اختفت بشكل مفاجئ، ومعها اختفت العديد من الأدلة التي كانت ستكشف حقيقة علاقتها بنيكولاس.. بدأت إيريني تشك في أن اختفاء أوجين له علاقة وثيقة بمقتل نيكولاس.

همست إيريني لنفسها بينما كانت تقلب صفحات المذكرة الصغيرة بين يديها: "كل شيء يبدأ بالحب، ثم يتحول إلى كراهية، وبين هذا وذاك أشياء أخرى تختبئ".

وبينما كانت إيريني تحلل كل تلك الحقائق في ذهنها، قررت أن تستعين بمساعدة المفتش غريغوريوس للتحقيق حول اختفاء أوجين المفاجئ ومكان تواجدها المحتمل، خاصة وأن هذا الأمر يشكل لغزًا بحد ذاته، ربما يتضح بعده السبب الحقيقي وراء تصرفات إيفان الغريبة، وربما يقودهم ذلك إلى حل القضية..

عند هذا الحد التقطت إيريني سماعة الهاتف واتصلت بالمفتش غريغوريوس من أجل ترتيب لقاء بينهما بناء على المعطيات

الجديدة.. كان هذا هو الوقت المناسب للتحرك.. بدأت الأمور تتضح، ولكن لا تزال هناك العديد من الأسئلة التي لم تجد لها إجابات. سيتعين عليها الآن أن تضع كل قطعة من اللغز في مكانها الصحيح.

-8-

جريمة ثانية

كان الغروب قد حل، ولامس ضوء الشمس الغربي سطح البحر الهادئ بالقرب من قصر ليفانوس. كانت إيريني جالسة في مكتبها تطالع أوراق التحقيق حول مقتل نيكولاس تستعد للقائها مع المفتش غريغوريوس، عندما رن هاتفها فجأة. نظرت إلى الرقم على الشاشة، كان الرقم نفسه الذي ارتبط بآخر اتصال لها مع مفتش البوليس.

رفعت السماعة ببطء وتحدثت بنبرة هادئة:

- مرحبًا، مفتش غريغوريوس؟

أجاب المحقق بصوت جاد جعلها تشعر بالقلق:

- مساء الخير، آنسة إيريني.. أعتذر لأنني أتصل في هذا الوقت المتأخر، لكن هناك تطورات جديدة في القضية تتطلب انتباهي الفوري.

فوجئت إيريني، وشعرت كأن قلبها توقف للحظة من شدة الحماس:

- هل حدث شيء جديد؟ هل هناك معلومات جديدة حول مقتل نيكولاس؟

- لا، للأسف، القضية التي أمامنا الآن هي حالة وفاة مشبوهة.. صمت المفتش قليلًا قبل أن يكمل، تم العثور على السيدة كسينيا ميتة في منزلها، ويرجح السبب الأولي للوفاة في تناولها جرعة زائدة من الدواء.. ونتيجة لذلك، أحتاج إلى إعادة ترتيب مواعيدي لمتابعة هذا التحقيق بشكل عاجل.

صمتت إيريني للحظات وقد عقدت المفاجئة لسانها عن الكلام.. كانت تفكر في المشهد الذي عاشته مع السيدة كسينيا، ولم تتخيل أبدًا أن هذه السيدة المفعمة بالحياة قد أصبحت جثة هامة.. لم يكن من المفاجئ أن تكون كسينيا –مصدر الأخبار والشائعات في الجزيرة– على دراية بالكثير من أسرار العائلة، لكنها لم تتوقع أبدًا أن تكون هذه السيدة المسكينة ضحية لجريمة أخرى، كانت إيريني متأكدة من حقيقة واحدة وهي استحالة إقدام السيدة كسينيا على الانتحار.

أجابت أخيرًا، محاوِلةً ضبط مشاعرها:

- فهمت، يا سيد غريغوريوس. إذا كنت بحاجة إلى أي مساعدة، فأنا رهن إشارتك.

- بالتأكيد، سنجد وقتًا آخر لمواصلة تحقيقاتنا في مقتل السيد نيكولاس.

ثم أضاف بصوت أكثر جفاءً:

- إذا توصلتِ إلى أية معلومات إضافية، فلا تترددي في الاتصال بي رجاءً.

- سأفعل ذلك، أعدك. ولكن أرجو أن تأخذ بعين الاعتبار احتمال ارتباط وفاة السيدة كسينيا بالجريمة الأولى بطريقة ما، وهذا قد يتطلب اهتمامًا خاصًّا.

- سآخذ هذا بعين الاعتبار. وداعًا الآن.

أغلق المحقق غريغوريوس الهاتف، وأخذت إيريني لحظة من الصمت للتفكير في الوضع برمته.. بينما كانت تتأمل في حقيقة أن السيدة كسينيا قد لقيت نفس مصير نيكولاس، انطلق ذهنها مجددًا في محاولة ربط الخيوط المتناثرة التي أصبحت أكثر تعقيدًا.. لماذا قتلوا كسينيا؟ هل يمكن أن يكون لذلك علاقة بموت نيكولاس؟ هذه الأسئلة جعلتها تشعر أن الأمر أصبح شبيهًا

بدوامة كبيرة يتداخل فيها كل شيء بطريقة معقدة، ولكنها لم تشكَّ أبدًا في أنها أصبحت قريبة من الحقيقة وعلى وشك اكتشاف لغز أكبر بكثير من مجرد جريمة قتل. في هذه الأثناء، وبسبب هذه الهواجس، غادرت إيريني القصر بدون تأخير، متوجهة إلى مترل السيدة كسينيا حيث كانت التحقيقات مستمرة..

***

اعتراف رغم كل الشكوك

كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل عندما وصلت إيريني إلى منزل السيدة كسينيا. وفي الخارج، كانت السماء ملبدة بالغيوم، كأنها تجسد الحالة النفسية التي تشعر بها، بعد أن أصبحت القضية أكثر تعقيدًا من أي وقت مضى.. دخلت القاعة، متوجهة إلى غرفة الجلوس حيث كان ينتظرها المفتش غريغوريوس.

وبمجرد أن دخلت، أشارت يد المفتش إلى الكرسي المقابل له وقال:

- تفضلي، آنسة إيريني.. من الجيد أنك جئت.. بعد أن اتصلت بك طرأ أمر جديد قد يغير تمامًا مجريات التحقيق..

أخذت إيريني مكانها، وقد تيقظت حواسها، وبدأ يساورها الشك حول ما ينتظرها في هذه المحادثة.. بدت ملامح غريغوريوس جادة للغاية، وكانت أعين مساعدته أثينا تتابعها بتركيز، وكأنها على وشك إعلان خبر غير متوقع.

بعد لحظات، دخل الطبيب ألكسندر بشكل غير متوقع، وجهه شاحب وملامحه مرتبكة.. بدا وكأنه سينهار من شدة الضغط.. جلس أمامهم بهدوء، ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يبدأ في الحديث بصوت هادئ ومتردد..

- سأكون صريحًا معكم.. لقد حان الوقت، لم أعد قادرًا على التظاهر بعد الآن..

كانت الأضواء الخافتة وصوت التنفس الثقيل يملئان الفراغ في الغرفة.. جلست إيريني بتركيز بينما كان المفتش غريغوريوس يستمع بهدوء، وعيناه مثبتتان على الطبيب ألكسندر، الذي بدا متأثرًا بشدة.. تحرك الطبيب في مقعده وكأن ثقل العالم يضغط على صدره. كان يعرف أن اللحظة التي لا مفر منها قد حانت.

بينما توقفت عيون الحاضرين في مفاجأة، تكلم المفتش غريغوريوس أخيرًا وهو يوجه سؤالًا حذرًا:

- ما الذي تعنيه بهذا؟ ماذا تخفي عنّا يا دكتور؟

نظر الدكتور ألكسندر إليهم، وظهر عليه أنه يعيش صراعًا داخليًّا، ثم قال أخيرًا، وعيناه مغرورقتان بالدموع:

- أنا.. أنا شقيق أوجين. نعم، هذا ما لا يعرفه الجميع.. لطالما ظن الجميع أنني مجرد طبيب متفانٍ في عملي، لقد أخفيت هذه الحقيقة عن الجميع..

ثم تنهد بمرارة، محاولًا جمع أفكاره، ونطق بصوت منخفض ومتردد:

- أنا.. أنا من قتلت السيدة كسينيا.. أنا من سممتها..

وللحظة عم صمت ثقيل الغرفة.. لم تصدق إيريني ما سمعته، كان هناك شيء في نبرة صوت ألكسندر لا يشير إلى الجريمة، بل إلى الارتباك العميق الذي بدا واضحًا في عينيه.

سأل المفتش غريغوريوس بهدوء، وهو يراقب الطبيب عن كثب:

- هل تقول هذا عن قناعة؟ أم أنك تحاول تغطية شيء أكبر؟

وقالت إيريني، مكملة فكرة المفتش:

- أو ربما التستر على شخص آخر؟

ابتلع ألكسندر ريقه، وتجنب نظراتهم. كانت عيونه مليئة بمشاعر غير مفهومة، ربما الحزن والخيبة، لكنه أصر على كلامه.

- لقد فعلت ذلك.. كانت كسينيا تعرف الكثير، وبالمناسبة لم يكن قتلها ضمن مخططاتي، لكنني اتخذت القرار بعدما أخبرتني بزيارتك لها يا آنسة إيريني وبالحديث الذي دار بينكما، لقد كانت مصدرًا للشائعات والفتن.. ولم أكن لأقدم على تسميمها لو أنها لم تتخطَّ الحدود في الحديث عن عائلتي.. وعن شقيقتي أوجين.. ثم إن هذه الثرثارة تعرفت عليَّ.. وألمحت للأمر.. لذلك، قررت أن

أتخلص منها. لذلك حقنتها بجرعة زائدة من الدواء.. ثم، كما تعلمون، ماتت.

تحركت إيريني في مقعدها، ورغم أنها كانت تستمع إلى اعترافاته، شعرت بشيء غريب.. بدا حديث ألكسندر غير مقنع وكأنه يروي قصة غير حقيقية، كأن الكلمات كانت تخرج من فمه بشكل آلي، في محاولة يائسة لإخفاء شيء آخر.
قاطعته إيريني بهدوء، ولكن بعينين متسائلتين:

- لكن.. لماذا الآن؟ لماذا تكشف نفسك في هذا الوقت؟

نظر إليها ألكسندر بعيون متوترة، ثم أضاف بصوت منخفض يكاد يُسمع:

- لأني كنت أحمق. أحمق جدًّا. لم أستطع أن أتحمل فكرة أن شيئًا من الماضي قد يعود ليلاحقنا جميعًا.. لقد كنت أرغب في معرفة الحقيقة وراء اختفاء شقيقتي أوجين فقط، وجعلت هذه الهدف محورًا لحياتي.. لكنني تجاوزت الحدود، نسيت بأن مهتمي هي إنقاذ الأرواح وليس أخذها.. أنا نادم الآن، ولكن الأوان قد فات..

اقترب غريغوريوس منه، وتغيرت تعابير وجهه ليصبح أكثر جدية، ثم سأله:

- ماذا تقصد بكلماتك تلك؟ هل لك علاقة بجريمة قتل نيكولاس أيضًا؟

تكلمت إيريني قائلة بحزم:

- أنا لا أصدقك يا دكتور، تبدو لي كمن يعترف بجريمة لم يرتكبها؟ هل تحاول حماية شخص آخر؟

أغمض الدكتور "أوناسيس" عينيه للحظة، ثم عندما فتحهما ابتسم وقال بصوت يكاد يكون همسًا:

- آه، تقصدين ذلك الشيطان نيكولاس، نعم، وهو كذلك أنا قتلته.. لم يكن إنسانًا، لذلك يستحق ما حدث له، لقد كان يعرف أنني الابن الأصغر لعائلة أوناسيس طيلة الوقت.. توسلت له ليخبرني بما حدث لشقيقتي أوجين.. لكنه هددني بطردي من الجزيرة لأنني تسللت إلى داخل أسرته لأنبش في الماضي.. وبعد أن فقدت الأمل في مساعدته سممته أيضًا..

صمتت إيريني، نظرت إليه بتمعن، ثم تمتمت لنفسها بصوت خافت:

- ألم يكن من المفترض أن تكون هذه نهاية اللعبة؟

أدار المفتش غريغوريوس رأسه ببطء نحو إيريني، وكانت يداه مشدودتين.. بدا الأمر وكأن الحقيقة تتكشف بشكل مريب.. ثم وجه سؤاله مجددًا للطبيب:

- إذن.. أنت تقول إنك ارتكبت الجريمة بدافع الانتقام.. هل هناك شخص آخر متورط معك؟

هز ألكسندر رأسه ببطء، وكان وجهه يتوهج بالندم والتعاسة.. وقال بإنكار:

- لقد أخبرتكم لا يوجد شخص آخر.. أنا المجرم الذي تبحثون عنه.. لِنُنْهِ الأمر هنا.

توقف الزمن لحظة، وكأن الكلمات الأخيرة التي نطق بها ألكسندر كانت مفتاحًا سريًّا قد فتح باب غرفة مظلمة في القصة.. ومع ذلك كان تفكير إيريني مشوشًا، وشعرت بأن هناك خيوطًا ضائعة

في القصة.. حاولت تنظيم أفكارها، حتى فاجأها صوت المفتش غريغوريوس الذي نطق قائلًا:

- سيد ألكسندر أوناسيس أنت رهن الاعتقال لاعترافك بارتكاب جريمتي قتل السيد نيكولاس ليفانونس والسيدة كسينيا، لديك الحق في توكيل محامٍ للدفاع عنك.

أعطى المفتش أمره للضابطة أثينا بإلقاء القبض على الطبيب، ووضعت هذه الأخيرة الأصفاد في معصميه، ثم وجهته نحو سيارة الشرطة المتوقفة عند مدخل المترل الحجري، ليعم الهدوء الغرفة.
قالت إيريني مخاطبة مفتش البوليس:

- هل صدقته؟

أجاب المفتش:

- لا، لكنه اعترف.. وأنا مضطر لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة.. ثم نظر إلى إيريني بحدة وأكمل:
- إذا أردنا الوصول إلى الحقيقة فعلينا أن نتصرف بسرعة، فالوقت شارف على النهاية.

-9-

الوصية

يوم الثلاثاء، الساعة تشير إلى السادسة مساءً.

تأملت إيريني السماء وهي تميل إلى الحمرة من خلف النوافذ الشاهقة، وكأنها تحاكي الدماء التي سالت ذات يوم في هذا القصر..

في داخل الصالون الكبير، جلست عائلة ليفانوس في جو مشحون بالصمت، تحيط بهم اللوحات الزيتية التي رسمت للأجداد، والتي كانت تراقبهم من الجدران الحجرية كأنها أشباح من الماضي.. كان السكون شديدًا، ولم يسمع سوى صوت طقطقة الخشب وهو يحترق ليتحول إلى لهيب أحمر يشع من داخل المدفأة إلى الخارج، وصوت الرياح تصفّر عند النوافذ، بينما يفتح المحامي ريمون ديلاكرو حقيبته الجلدية السوداء، وينظر إلى الجميع بنظرة جافة.. ليقول أخيرًا بصوت ثابت:

- كما تعلمون، السيد نيكولا كتب وصيته الأخيرة منذ عامين. وقد أصرّ أن تُقرأ في حضرة جميع أفراد العائلة، وبالضبط

في هذا المكان، لكن الأمر الذي لا تعلمونه هو أن السيد نيكولا بعث لي بوصية ثانية مكتوبة بخط يده قبل وفاته بأيام قليلة، الأولى هي التي كنتم جميعًا على اطلاع بما جاء فيها تقريبًا، والثانية كانت وصية احتياطية في حال وقع أي مكروه للسيد نيكولاس الابن، أو السيد ديمتري باعتبارهم الورثة الذكور لعائلة ليفانوس.

ما إن نطق المحامي بهذه الكلمات، حتى تحرّكت العيون بمفاجئة من هول الصدمة.. عقدت كاترينا ذراعيها وهي تستهزئ من مكر والدها العجوز حتى بعد وفاته، ما زال يتلاعب بهم.. أما ابنتها تاتيانا، الحفيدة، فقد ظلت تلعب بخاتمها الماسي، وهي لا تجرؤ على النظر إلى أحد.. بينما كانت السيدة أولغا، زوجة العجوز، تحبس دمعة كادت تسقط على خذها الأيسر.. أما كريستين والبقية، فقد استمروا في التحديق في المحامي وكأنهم ينتظرون مفاجأة.

في هذه الأثناء بدأ ريمون في قراءة الورقة، وصوته يتردد بين جدران القاعة:

"أنا، نيكولا ليفانوس، بكامل وعيي وقواي العقلية، أقرّ بما يلي..

"لن يُنفّذ ميراثي إلا بعد استيفاء شرطين".

كانت أعين الحاضرين تنظر في ترقب وتململ..

"الشرط الأول: على من كان مسؤولًا عن انتحار ديمتري واختفاء أوجين في شتاء عام **1997** أن يعترف الآن، علنًا، أمام العائلة.

يعرف نفسه جيدًا، وقد منحته سنين لكي يكفر عن ذنبه ويطلب المغفرة لنفسه، لكنه لم يفعل".

بمجرد أن نطق المحامي بهذه الكلمات، انحبست الأنفاس من هول المفاجأة.. كانت الخادمة العجوز هيلين تضع فناجين القهوة على الطاولة.. فسقطت كأس من يدها على الأرض، ليتطاير الزجاج..

نظر ديمتري إلى عمته كاترينا، بينما شهقت كريستين ووضعت يدها على صدرها.

"الشرط الثاني: في مكتبي، خلف لوحة "الصياد العجوز"، ستجدون ما قد يقودكم إلى الحقيقة في حالة لم يكشف المذنب عن نفسه بنفسه. من يحلّ اللغز، ينلْ مفتاح القصر والثروة".

ساد صمت رهيب عندما قام المحامي بطوي الورقة ببطء، وأضاف ببرود:

"– هناك أمر أخير، إذا لم يتم تنفيذ الشرطين خلال 72 ساعة.. فسيتم تحويل كامل التركة إلى.. قريب السيد نيكولا المخلص.. والذي لا أستطيع الكشف عن هويته الآن".

في هذه الأثناء، علت شهقة خافتة من كاترينا، وقال زوجها أناتولي بصوت خافت:

"– هذا جنون.".

أما كريستين، فقد قالت بهمس:

- "لكن الخالة أوجين.. اختفت منذ زمن بعيد؟"

في حين نطق ديمتري أخيرًا، بكلمات مكسورة:

- أوجين والدتي لم تختفِ.. لقد أُخفيت.

عندما أنهى المحامي مهمته، طلبت منه إيريني السماح لها بإعادة قراءة نص الوصية:

"إلى ورثتي من لحم دمي وأقربائي من دم القلب، أضع بين أيديكم ما تبقّى من أسراري.. لكن لن ينال أحدٌ منكم شيئًا، قبل أن يتحقق الشرطان التاليان:

أولًا: على أحدكم –ويعرف نفسه– أن يعترف بالحقيقة الكاملة حول ما حدث في تلك الليلة الشتوية التي بدأ فيها كل شيء.. كفوا عن دفن الماضي تحت السجاد، فقد آن أوان المواجهة.

ثانيًا: في مكتبي، حيث لم تطأ أقدامكم منذ سنوات، وضعت تلميحًا سيقودكم إلى حلّ ما أخفيته عنكم طيلة حياتي. من يحل هذا اللغز، فسينال مفتاح الميراث.

أما إن أصررتم على الكذب، أو فشلتم في الوصول إلى الحقيقة.. فليُوزَّع كل شيء على من لم يخُنّني قط: قريبي المخلص".

بعد أن انتهى المحامي من قراءة الوصية، خيم صمت ثقيل على القاعة.. بدا الأمر وكأن القلوب ترتجف، والعقول تغوص في الذكريات، لكنَّ أحدًا لم يتكلم.. ثم.. فجأة تنحنح المحامي ريمون، وقال:

- "أعتقد أنه سبق لكم جميعًا التعرف إلى السيدة إيريني سيلفا، المستشارة الجنائية التي كلفها السيد نيكولا سرًّا منذ أشهر لمتابعة القضية القديمة.. حول اختفاء أوجين".

ترددت المعلومات الجديدة في المكان كطَرقٍ على أبواب مغلقة منذ سنوات.. لتعلق السيدة أولغا بعصبية:

- إذن هذا هو سبب مجيئك!

أجابت إيريني بصوت هادئ وحازم:

- أدرك أن حضوري في هذه اللحظة قد يبدو مفاجئًا.. لكنه لم يكن كذلك بالنسبة للسيد نيكولا، وأرجو أن تتفهمي سيدتي بأن الأمر كان مشمولًا بالسرية.. وبعد وفاة السيد نيكولا كان كل شيء قد انتهى بالنسبة لي قبل أن يبدأ، حتى توصلت برسالة

ثانية من السيد نيكولاس الابن يدعوني فيها للحضور من أجل سبب مختلف تمامًا.. عندها قررت أن مجيئي كان أمرًا محتومًا".

نظرت إيريني نحو الجميع بنظرة دقيقة، ثم استمرت: "لقد أرادني هنا عند قراءة وصيته.. بل ورتب أن أكون ضمن الشهود، وأيضًا المحقق الوحيد في هذه اللعبة".

صاحت كاترينا بحدة:

- "لعبة؟ هل تظنين أن اختفاء أوجين ووفاة أشقائي كان.. ترفيهًا؟"

ردت إيريني ببرود:

- "بل مأساة.. لم تُحل.. بعدُ".

ثم فتحت دفترها، ودونت شيئًا، ثم مشت ببطء نحو لوحة "الصياد العجوز" المعلّقة على الجدار المقابل للمدفأة.
تلفتت إيريني نحو الجميع:

- "قال في وصيته إن خلف هذه اللوحة سرًّا.. ووفق ما اكتشفته، فإن السيد نيكولا لم يكن يثق في أيٍّ منكم".

سحبت اللوحة بهدوء، ليظهر خلفها جدار خشبي صغير، فيه قفل معدني مع لوحة مرقّمة..
وقُربه ظرف مغلق بختم أحمر، مكتوب عليه بخط يد نيكولا: "إيريني أولًا".
فتحت إيريني الظرف وهي تقرأ في سرّها، ثم همست قائلة:

- "اللعبة بدأت.."

بعد أن فتحت الرسالة التي كانت داخل الظرف، قرأت إيريني:

- من نيكولا ليفانوس الأكبر إلى إيريني:

"إيريني،
أعلم أنك تقرئين هذه الكلمات في صمتٍ ثقيل، كما كانت جدتك ماري تمامًا، مستمعة لما لا يُقال أكثر مما يُقال..
منذ سنوات، وأنا أعيش وسط أشباح هذا القصر، أحادثهم حين ينام الجميع، وأحاور صورهم حين يخيب ظني فيمن حولي.
أوجين وإيفان.. ديمتري.. نيكولاس.. كنت أعلم أن الحقيقة تحتاج إلى شخص شجاع ليسحبها إلى السطح.
في المكتبة، خلف رفّ الكتب الخاص بي، يوجد درجٌ سري لن تفتحه سوى مفاتيح ثلاثة: الأولى في لوحة "الصياد العجوز"،

الثانية في صندوق الموسيقى في غرفة إيفان وأوجين، والثالثة.. مع من خانه ضميره في تلك الليلة..

هذه وصيتي لك.. هذه محاكمة.. والجميع هم الشهود والمتهمون معًا.

إيريني.. لا تثقي بأحد. حتى من يبدو أكثرهم ألمًا.. ولا تتوقفي عند أول إجابة..

- نيكولا"*

طوت إيريني الرسالة ببطء، وهي تنظر حولها، إلى الوجوه التي كانت تراقبها بقلق متزايد.. ثم تحركت نحو المكتبة، لتقف أمام رف الكتب القديم، تحسست الحواف بحذر.. طقطقة خفيفة، ثم جزء من الرف ينفتح ليكشف درجًا خشبيًّا ضيقًا..

أخرجته إيريني، فوجدت بداخله:

مفتاحًا صغيرًا، وصورة قديمة بالأبيض والأسود يظهر فيها إيفان وهو يحتضن أوجين التي كانت ترتدي فستان زفاف، ويبدو أنهما كانا في قمة السعادة.. بدا المكان مألوفا لإيريني.. نعم إنها صورة مأخوذة في حديقة القصر.. أمام تمثال برسيفوني بجانب النافورة..

سحبت الصورة، وانتبهت إلى المذكرة الصغيرة، المعنونة بخط بارز بـــ"الشاهد الأخرس"، فتحت إيريني المذكرة لتقرأ ما بداخلها:

"في تلك الليلة، لم أكن وحدي من سمع الصرخة.. لم أكن وحدي من رأى الباب الخلفي يُفتح في الثالثة فجرًا، ولا من لمح الخاتم الفضي يسقط على السجاد القرمزي في الردهة.. لكنّ أحدًا لم ينطق. كلّهم صمتوا، وبعضهم مثّل الحزن، وبعضهم خاف من فقدان ما كان يعتقد أنه يستحقه.. أحتفظ اليوم بصوت الشاهد الوحيد.. الصامت.. الذي رأى كل شيء.
سترونه حين تجرؤون على النظر في المرآة".

قرأت إيريني محتوى المذكرة بصوتٍ مرتفع، وكانت تعلم أنها قرعت جرسًا خطيرًا لن يمكن إسكاته بسهولة.. رفعت نظرها نحو العائلة تتأمل ردود فعل الجميع بعين خبيرة..

تراجعت تاتيانا خطوة للوراء، وهي تهمس:

- المرآة؟ هل يقصد المرآة المكسورة؟

تدخلت الخادمة العجوز هيلين، وقالت بشفتين مرتعشتين:

- "لقد طُلب مني تغطيتها منذ سنوات.. قال السيد نيكولا إنها 'تُخبر أكثر مما ينبغي'".

ردت عليها كاترينا بصوت مشدود، وغاضب:

- "هراء! كل هذا مسرح.. أبي كان يخرف في أيامه الأخيرة".

لتجيب إيريني بهدوء، كأنها تُلقي قنبلة:

- "كان والدك أكثر وعيًا منكم جميعًا. وقد سلمني شيئًا آخر".. ثم أخرجت من جيبها خاتمًا فضيًّا قديمًا، حُفر عليه حرفَا E. O، ورفعته أمام الجميع.. وجدته بالصدفة مدفونًا في الردهة الخلفية قرب النافورة.. مع بصمة جزئية".

لثوان قليلة بدت كأنها سنوات، لف الهدوء القاتل أرجاء المكان.. جعل أولغا، السيدة الأرستقراطية المتزمتة، تشهق بهدوء دون أن تنبس بكلمة، في حين وضعت الخادمة العجوز يدها على فمها.. أما ديمتري فقد كان ينظر إلى الخاتم كأنه رأى شبحًا.

استطردت إيريني في حديثها قائلة: "والبصمة.. تعود لأحدكم". ثم دفعت الباب ببطء.. تسللت رائحة العتق، والذكرى من الغرفة.. كانت كما تُركت: سرير غير مرتب، كتب مفتوحة، وكوب قهوة جاف على الطاولة.. لكن الشيء البارز فيها كان هو المرآة الطويلة في الزاوية.. والتي كانت مغطاة بقطعة قماش سوداء.

قالت إيريني بحزم:

- "لا أحد سيغادر هذا القصر حتى نعرف ماذا حدث بالضبط.. ومن القاتل".

ثم سحبت الغطاء.. لتظهر المرآة المكسورة خلف الغطاء.. وبدأ كل واحد يرى.. ليس صورته فقط.. بل أشباح الماضي خلفه.. تلفتت إيريني نحو اللوحة، وإلى المرآة مرة أخرى.. ونظرت نحو الجميع بتركيز ثم قالت بصوت منخفض، وكأنها تهمس للبيت نفسه:

- "المرآة ذاكرتكم.. هنا.. كل شيء بدأ".

-10-

-ديمتري-

كان الليل قد خيم بهدوئه القاتل على القصر..

في مكتبه الخاص الذي كان يحتل مساحة صغيرة داخل مختبره، ومباشرة بعد انصرافه من جلسة قراءة الوصية وما أثارته من ألغاز جديدة ومحيرة، كان ديمتري يجلس أمام طاولة ضخمة مغطاة بأوراقه الخاصة، وملفات التحقيق التي كان يجمعها على مدار السنين، في مثل هذه الليالي ومنذ سنين كانت حيرته تكاد تدفعه إلى الجنون.. لكن ليس الليلة، لم يكن ذهنه مشغولًا بالتحقيقات التي بدأها فحسب، وإنما بالأحداث التي ظلت عالقة في ذهنه منذ سنوات، والتي أثارها إيريني بناءً على تعليمات العجوز نيكولا وعلى المعطيات الأخرى.. كان يشعر بأن شيئًا ما كان مفقودًا، لكن خيوطه انكشفت له هذه الليلة بوضوح..

داخل مختبره الصغير، حيث تتناثر الملفات فوق الطاولة، وقف ديمتري يتفحص الأوراق. كان كل شيء يربطه بهذه العائلة.. بهذا القصر.. وبتلك الجرائم..

على الطاولة، كان هناك تقرير مخبري، يحمل اسمًا مألوفًا.. قبضت يداه عليه بقوة، عيناه تمعنان النظر في الكلمات المكتوبة بخط واضح، لكنها تحمل معنًى غامضًا لم يرغب في فهمه أبدًا..

"مستحيل".. تمتم بصوت منخفض، وشيء بارد تسلل إلى روحه.

هل كان كل شيء كذبة؟

رفع رأسه نحو المرآة في الزاوية، لكنه لم يرَ نفسه فقط.. بل رأى القاتل الذي لم يكن يتوقعه..

فجأة، سمع صوتًا خافتًا خلفه.. التفت ببطء، ليجد انعكاسه في المرآة.. لكن تلك العينين لم تكن عينيه فقط. كانت هناك، خلفه، روح الماضي التي لم تتركه أبدًا.

وبينما هو منهمك في تأمل المرآة، دوى صوت الباب الذي يفتح، رفع ديمتري رأسه ببطء.. كان هناك شخص ما يقف في المدخل، ظلها طويلًا.. لقد كانت أولغا.

"ديمتري،" قالت أولغا بصوت عميق وهادئ، يكاد لا يُسمع.. "هل كنت تبحث عن الحقيقة؟"

توقف ديمتري عن العمل، ثم نظر إليها نظرة مشوبة بالحذر، متسائلًا كيف اكتشفت خططه.. كانت نظرات جدته تحمل شيئًا ما جعله يشعر بالقلق.

"هل يمكننا التحدث؟" طلبت منه أولغا ذلك بطريقة تشبه التوسل، على الرغم من أنها كانت على علم بأنها دخلت إلى منطقة محظورة..

أخذ نفسًا عميقًا وكأنما كان يحاول تهدئة نفسه، ثم أشار لها بالجلوس.. وقبل أن تقول أي شيء آخر، بدأ هو بالكلام: "أنتِ تعرفين كل شيء، أليس كذلك؟ عن الماضي.. عن أمي".

أغمضت أولغا عينيها، كأنها تحاول تذكر شيء بعيد.. ثم قالت بتردد وبصوت شبه مخنوق: "أنا.. أنا لست الوحش الذي تعتقده، ديمتري.. لقد كانت مجرد حادثة.. لم أكن أريد أن أخسر كل شيء".

شعر ديمتري كأن خنجرًا يتسلل إلى صدره.. بدأ عقله يعمل بسرعة وأفكاره تتزاحم داخل رأسه، لكن الأمور بدأت تتضح شيئًا فشيئًا، ظل صامتًا، محاولًا أن يربط بين الكلمات.

"ماذا تعنين؟" سأل بصوت غاضب، "ما الذي تقصدينه؟"

اقتربت منه أولغا قليلًا، وعيناها مليئة بالدموع التي كانت على وشك السقوط، لكنها لم تسمح لنفسها بالبكاء.. "أنت تعرف ما الذي فعلته يا ديمتري! لكنني فعلت ما كان يجب عليَّ فعله لحماية عائلتي، لكي أحميك أنت.. أنت لا تفهم.. لا يمكنك أن تفهم.. لم أكن أريد أن تدمرك كما فعلت لوالدك.. لإيفان".

صمت طويل. كانت لحظة فاصلة، خيوط الحكاية بدأت تتشابك في ذهنه لكنه لم يرغب في التصديق..

"ووالدتي؟" سأل ديمتري بنبرة حادة، "هل أنتِ مسؤولة عن اختفائها؟ هل كنتِ السبب في أنني نشأت هكذا، يتيمًا ومنبوذًا؟" كانت الكلمات تتدفق منه بغضب لا يمكنه إخفاؤه.

تنهدت أولغا بمرارة، ثم أضافت: "لقد فعلت ذلك لحمايتك.. لم يكن عندي خيار آخر". تنهدت مجددًا، وكأنها تستعرض لحظات كانت تختبئ فيها عن الجميع، "هل تظن أنني دمرت عائلتنا، لكن الحقيقة هي أنني أنقذت حياتك".

أخيرًا اعترفتِ.. شعر ديمتري كأن الأرض تهتز تحت قدميه، كأن كذبة العائلة التي أراد تصديقها لسنوات لم تعد ترغب في الصمود.. لقد بدأت تتفكك. ارتبكت الأفكار في رأسه، وسيطر عليه شعور عميق بأنه كان يتم التلاعب به طوال الوقت.. تساءل في نفسه: هل كان كل شيء كذبة أم جزءًا من خطة أكبر؟

مرت لحظة صمت ثقيلة بينهما، قبل أن تقترب أولغا منه أخيرًا، وتضع يدها على ذراعه برفق.. "أنت الآن تعرف الحقيقة. لكن الأذى قد وقع، ولا يمكننا إيقافه".

عقدت الصدمة لسانه، وظل يراقبها بصمت، وللحظة لم يستطع تفسير ما يشعر به، هل هي مشاعر غضب واحتقان، أم حزن

ورغبة في الانتقام؟ كان يأمل برؤية شيء في عيون العجوز يخفف عنه جحيم المعرفة، كالشعور بالذنب مثلًا.. لكنه رأى بدلًا من ذلك نظرة جليدية وملامح جافة لامرأة قُدَّت من صخر، وكأنها تمثال حجري لا يحمل أية مشاعر بشرية.

قبل أن يستطيع فتح فمه للسؤال أو الرد، التفتت أولغا بسرعة، وفجأة اختفت من الغرفة.. لم يلتفت إليها، فقد كان ذهنه مشغولًا بتلك اللحظة التي شعر فيها بشيء مختلف، شيء كان واضحًا بما فيه الكفاية: أولغا كانت تقف على حافة الهاوية وستدفع ثمن جريمتها..

عاد ليجلس على الكرسي خلف المكتب، ثم ركز عينيه مجددًا على التقرير الطبي الذي كان أمامه، والذي خط في أعلى صفحته بخط بارز وناعم:

- نسبة تطابق الحمض النووي للجثة مع السيدة أوجين فيرتيس ليفانوس بنسبة 99. 99 في المئة.

وضع رأسه بين يديه، وأطلق العنان لدموعه التي ظلت حبيسة في مقلتيه طيلة هذه السنين..

-11-

انتحار أولغا

كانت الليلة باردة رغم الدفء الخانق داخل القصر.. وكانت أولغا تقف عند النافذة، تحدق في الحديقة التي احتضنت أسرار العائلة لعقود.. جلست السيدة العجوز على الكرسي الهزاز في غرفتها، حيث ضوء المصباح الخافت يرقص على الجدران مثل شبح من الماضي.. يدها ترتعش وهي تمسك بزجاجة صغيرة، سائل شفاف يتراقص داخلها..

نظرت إلى المرآة أمامها، لم ترَ سوى امرأة لم تعد تعرفها.. تجاعيد حفرتها السنوات، وعينان غائرتان محملتان بالذنوب. أدارت رأسها ببطء نحو النافذة، نحو الحديقة التي كانت دائمًا ملاذها.. وسجنها.

هناك، تحت شجرة الكستناء العتيقة، كان يكمن سرها الأكبر.

فجأة، اجتاحتها الذكرى كعاصفة، كأن روحها تحاول انتزاعها من هذا الجسد المتعب، لتعيدها إلى تلك الليلة.. في الطابق العلوي، كان الصراخ يتردد بين الجدران.

"لا يمكنك منعي من المغادرة!" صرخت أوجين، عيناها تشتعلان بالغضب وهي تنظر إلى حماتها.

لم تجب أولغا على الفور.. كانت تعرف أن الأمر قد وصل إلى حافة الهاوية.. الطلاق كان وشيكًا، وإيفان، ابنها، لن يحتمل ذلك. نظرتها اخترقت وجه زوجة ابنها الشابة وكأنها كانت تحاول اقتلاع الحقيقة من داخلها.

"ما زلتِ تحبين نيكولاس، أليس كذلك؟" تمتمت أولغا، وقد كان صوتها أشبه بالهمس القاتل.

شهقت أوجين بغضب: "ما هذا الجنون؟! هل ملأتِ رأس إيفان بهذه الخرافات؟! لا أصدق ذلك.. لن أحتمل بعد الآن، سأنقذ نفسي وابني من هذا الجحيم!"

جحيم؟ هل أصبح بيتها، القصر الذي أفنت حياتها للحفاظ عليه، جحيمًا؟ شحبت ملامح أولغا، ثم بحقد دفين، تقدم ظلها مع خطواتها البطيئة نحو الطاولة.. كانت يدها تلامس المطفأة الثقيلة، الباردة بين أصابعها.

"لن أدعكِ تدمرين هذه العائلة أكثر"..

انطلقت أوجين نحو الباب، لكن أولغا رفعت المطفأة بسرعة وضربتها على رأسها. ارتطم جسدها بالأرض بقوة، تبعثر شعرها

الطويل حول وجهها الشاحب، وصوت خافت خرج من فمها، كأنه يحاول قول شيء أخير.. ثم صمت.

للحظة، تجمدت أولغا في مكانها، أنفاسها تتسارع، قلبها يقرع بقوة في صدرها. لم تكن تنوي قتلها.. أو ربما كانت. لكن الآن، لم يعد هناك مجال للعودة.

نظرت إلى يديها المرتجفتين، الملطختين بشيء دافئ، ثم إلى الجسد الملقى على الأرض.. كان عليها أن تخفي كل شيء، أن تمحو هذه اللحظة من الوجود كأنها لم تكن، تمامًا كما فعلت مع أوجين..

نظرت إلى الخارج، كانت الحديقة تنتظر بصمت لتخفي سرها..

الآن وبينما راودتها الذكرى، شعرت أولغا وكأن الدم لا يزال ساخنًا على يديها.. وضعت راحة يدها فوق الأخرى، تحاول الشعور به، لكنه لم يكن هناك. كان ذلك منذ سنوات، لكن الذكرى لم تفارقها يومًا.

إيفان قالت بتأثر والدموع تتساقط لأول مرة على وجهها.. أردت حمايته، فعلت كل شيء لأنني أردت إسعاده مجددًا، لكنه لم يكن ليغفر لي ولا لنفسه أيضًا.. قتلته بيدي هاتين عندما قتلت أوجين، ولم تكن الرصاصة التي أطلق على رأسه بعد أن رآها ممدة جثة هامدة سوى وسيلته للخلاص..

"نيكولاس".. تمتمت بصوت مبحوح. كان يعلم، لكنه صمت. ظل يعتني بتلك الحديقة بإخلاص وكأنها قبر لا يريد أن يعلن عن نفسه.. وعندما وجدوه مسمومًا بين الأزهار، لم أكن بحاجة إلى دليل لأعرف أن موته لم يكن مصادفة..

"ديمتري".. تمتمت اسمًا آخر، بحرقة.

الطفل الذي لم يكن ذنبه شيئًا، لكن الجميع عامله كأنه لعنة.. لم يكن يعرف الحقيقة، لكنه كان يشعر بها.. والآن، عرف كل شيء.

رفعت الزجاجة الصغيرة ببطء إلى شفتيها، عيناها معلقتان بالحديقة خلف النافذة.. ستعود إلى هناك الليلة، لكن هذه المرة.. لن تكون وحدها.

ابتلعت السم في جرعة واحدة، وسقطت الزجاجة من يدها وتحطمت. لم يكن صوت تحطمها إلا صدًى لما تحطم داخلها منذ زمن بعيد.

استمر الكرسي الهزاز في التأرجح ببطء.. ثم توقف أخيرًا.

-12-

الحقيقة

بعد تشييع جنازة أولغا، وقفت إيريني داخل المكتبة أمام مكتب العجوز نيكولا القديم، تراقب الورقة التي أمامها.. الرسالة المزعومة من الجد نيكولا، والتي عثر عليها ديمتري في غرفته بعد شهور قليلة من وفاته.. كانت الخطوط مكتوبة بخط يد مرتب، لكن تبين أن شكوك إيريني كانت في محلها، لقد وضعها أحدهم عنوة في غرفة ديمتري لكي يحرضه على الانتقام.. تنهدت إيريني، ثم فتحت صندوقًا قديمًا سبق لها أن وضعته على الطاولة، استخرجت منه رسالة قديمة أخرى بعناية.. إنها الرسالة التي أرسلها إليها نيكولا منذ شهور.

تمتمتْ إيريني لنفسها بتحفظ:

- لا يمكن أن يكون هذا هو خطه.. في هذه الرسالة كان خطه مليئًا بالحروف المنحنية، والنهاية المنقطة.. هذه الكتابة.. تختلف.

قارنت إيريني بين الرسالتين بشكل دقيق، وعيناها تتسعان قليلًا بينما بدت الحقيقة تتكشف أمامها.. الخط الذي كُتبت به الرسالة المزعومة يبدو مشدودًا بشكل غير طبيعي، كأنه محاولة لتقليد خط العجوز بعناية فائقة.. لحظة لقد رأيته في مكان آخر.. تمتمت إيريني لنفسها.. ثم وضعت يدها على جبهتها تعتصرها في محاولة للتذكر، قبل أن تصيح بانتصار:

- بينغو! إنه يبدو شبيهًا بالخط الذي كتبت به الوصية الاحتياطية الثانية.. يا إلهي! هل من الممكن؟ يا له من ماكر!

ثم توقفت بتركيز عند النقطة الحاسمة: التوقيع.. بعد قليل رفعت إيريني رأسها وهي تبتسم ابتسامة باردة بينما تُدقق في التوقيع، وهمست لنفسها:

- ليس خطه. هذا هو خط القاتل.

وضعت الرسالة المزعومة جانبًا وأغلقت عينيها قليلًا، ثم أخذت نفسًا عميقًا.. لم يبقَ لها سوى الاتصال بالمفتش غريغوريوس حتى يتأكد من الأمر..

إيريني، بصوت مرتفع:

- لقد وقعت في فخك بنفسك.

عند هذه النقطة خرجت إيريني من الغرفة متوجهة إلى الخارج، وهي تعد نفسها للمواجهة الحاسمة.. بدأت في السير نحو الجناح الذي كانت تجتمع فيه العائلة بعد الجنازة.

***

كان جميع أفراد العائلة مجتمعين عند قاعة القصر الكبرى.. بينما وقف المفتش غريغوريوس أمام المدفأة، ظهره للجميع، يتساءل حول ماهية الحقائق التي تود إيريني الإفصاح عنها في هذا المساء العاصف.. لم يفهم منها شيئًا يُذكر في المكالمة الهاتفية المستعجلة التي دارت بينهما.. لقد طلبت منه مجموعة من الطلبات الغريبة مؤخرًا، بدءًا من تحقيق خطوط بعض الرسائل، ووصولًا إلى دعوته للمجيء على وجه السرعة إلى القصر وإحضار الطبيب ألكسندر معه بدون أن تعطيه أي تفسير لذلك.. كان يسايرها لأنه أحس في قرارة نفسه بأنها وصلت إلى شيء لكنها لم تزوده بالتفاصيل.. ركز المفتش نظراته على الدكتور ألكسندر وهو يتذكر الحالة الهستيرية التي كان فيها جميع أفراد عائلة ليفانوس بعدما رأوه يدخل باب غرفة المعيشة قبل لحظات.. وهم يوجهون له أصابع الاتهام..

كانت الأضواء خافتة بالصالة، وصوت العاصفة يهدر في الخارج.. كأن الطبيعة نفسها تحتج على الظلم الذي وقع داخل جدران القصر القديمة.. صوت الرياح يصفِّر، صفيرًا طويلًا متقطعًا، كأن هناك من يحاول اقتحام القصر بأنفاسه.. وزخات المطر ترتطم بزجاج النوافذ بشراسة، حتى خُيّل لمن في الداخل أن الزجاج سينكسر في أي لحظة.. النار المشتعلة في الموقد تتراقص بقلق، ظلالها تتابع الرقص على الجدران كأشباح لا تجد راحتها. وفي هذا الجو المشحون، عبرت إيريني باب غرفة المعيشة، وتوجهت إلى أمام المدفأة حيث كان يقف المفتش غريغوريوس، ثم قالت بصوت ثابت، اخترق العاصفة:

- شكرًا على قدومك حضرة المفتش.. ثم نظرت إلى حيث كان يجلس الدكتور ألكسندر وقالت: والدكتور أوناسيس أيضًا هنا.. إذن نستطيع أن نبدأ ما دام العدد قد اكتمل..

في هذه اللحظة، خاطبتها كاترينا بصوت غاضب:

- ما الذي تحاولين فعله؟ ماذا تظنين نفسك؟

أجابتها إيريني بهدوء:

- أحاول كشف الحقيقة.. التي ظلت مخفية في جدران هذا القصر كعشب سام.. واليوم حان الوقت لاقتلاعها من الجذور.. ثم استطردت موجهة حديثها للجميع، جريمة القتل نادرًا ما تبدأ في لحظة.. إنها تنمو، كما تنمو الأشواك في جذع الشجرة، لا يراها أحد، لكنها تجرح كل من يقترب.. كل ما حدث في هذا القصر لم يبدأ بموت نيكولاس.. بل بدأ قبل سنوات، بجريمة لم يتحدث عنها أحد، لكنها كانت السبب في كل ما تبعها..

تقدمت إيريني خطوة إلى الأمام حتى وقفت وسط القاعة أمام الجميع، وعيناها تبحثان في الوجوه بتركيز:

- الغيرة، الطمع، الخيانة، وحتى الحب.. كلها أسباب مقنعة، وُجدت هنا بين هذه الجدران.. والضحايا؟ لم يكونوا فقط الأموات، بل حتى الأحياء الذين استمروا في حمل وزر هذه اللعنة معهم..

توقفت إيريني لحظة وهي تنظر في وجوه الجميع، ثم قالت:

- إليكم مثلًا السيد أناتولي.. الرجل الذي باع ضميره، تورّطت في اختلاسات جعلتك مطاردًا بالديون من المرابين..

نيكولاس كان يعلم.. هذا كان سبب شجاركما ذلك اليوم بالحديقة، أليس كذلك؟ هل كان المال دافعًا كافيًا لتقتله؟

أجاب أناتولي بعصبية:

– هذا هراء! تشاجرنا، لكنني لم أقتله بكل تأكيد..

نظرت إليه إيريني مطولًا ثم قالت مجددًا: أنت محق.. لست المجرم، لأنك كنت تعلم جيدًا أن أذيته لن تفيدك، بل ستجعلك تخسر الفرصة الأخيرة للبقاء تحت هذا السقف.

تحركت إيريني إلى بيتر:

- بيتر.. زوج تاتيانا.. لا تهمك زوجتك، أليس كذلك؟ بل عقد التأمين الذي جعلتها توقعه بالخداع، يضعك كمستفيد إن ماتت.. كان نيكولاس محقًّا بشأنك.. هل كشف نواياك لذا قتلته؟

بدا الارتباك واضحًا على وجه بيتر، قبل أن يقفز كل من كاترينا وأناتولي أمامه:

- أناتولي: هل جعلت ابنتي توقع عقد تأمين على الحياة، يا لك من مخادع..

- كاترينا: كنت أعلم أنك مجرد صائد ثروات.. كيف تجرأت على ذلك؟

في هذه اللحظة تحدثت تاتيانا مدافعة عن زوجها، وقد بدا عليها أثر المشروب:

- أمي، أبي، توقفا.. إنه عقد مشترك، فهو أيضًا وقع عقد تأمين على حياته.. كفًّا عن اتهامه..

صفعتها والدتها صفعة مدوية على وجهها، وهي تقول:

- أيتها البلهاء، استفيقي..

في هذه الأثناء ألقت إيريني نظرة خاطفة على تاتيانا، ثم تدخلت قائلة:

- هذا يكفي سيدة كاترينا.. ربما كانت تاتيانا تعرف أكثر مما تقول، لذلك اختارت الشراب والصمت.. أليس كذلك تاتيانا.. ربما أنت ضعيفة جدًّا على مواجهة الحقيقة أو حتى الاعتراف بها..

ثم نظرت إلى كاترينا واستمرت: وأنت سيدة كاترينا.. ألم تشعري بالإهانة عندما حرمك العجوز نيكولا من الميراث.. ألم تحسي بالظلم لإقصائك عن ثروته.. وربما عطفه.. ففي النهاية كنت الفتاة الوحيدة بين أبناء ذكور..

صرخت كاترينا في وجه إيريني:

- كيف تجرُئين؟ من أعطاكِ الحق؟ هل تظنين أنك تعرفين كل شيء؟! صحيح أن والدي كان عجوزًا خرفًا.. وقد حرمني من حقي وجعلني تحت رحمة نيكولاس.. لكنني لست غبية لأرتكب جريمة قتل، ابتسمت كاترينا بسخرية وأكملت: أنا أفضِّل طرقًا أكثر فاعلية من السم.. كالابتزاز مثلًا..

أجابت إيريني:

- يعجبني صدقك كاترينا.. أوافقكِ الرأي، فأنت انتهازية، ولكنك لست متهورة..

توقفت إيريني ببطء، واتجهت نحو ديمتري، ونظرت إليه طويلًا، ثم قالت:

- ديمتري.. لطالما عشت على الهامش.. كطفل منبوذ، مشكوك في نسبك، تُركت عرضة للشائعات والأقاويل التي شككت حتى في نسبك، وجعلتك تعيش في دوامة الشك وعدم اليقين.. والدك إيفان، عمك نيكولاس.. اختفاء والدتك.. شككت في عطف عمك ورأيتَ في هوسه بالحديقة محاولة للتكفير عن ذنب هو في الحقيقة لم يرتكبه، وإنما كان شاهدًا عليه.. لقد كنت ضحية مثلهم جميعًا.. مثل نيكولاس، وإيفان، وأوجين.. كنت ضحية صمت استمر طويلًا..

ثم التفتت أخيرا إلى ألكسندر: أما أنت، يا دكتور ألكسندر.. رجل أخفى وجهه خلف قناع.. كنت تنشد العدالة.. دخلت إلى هذه العائلة تسأل، وتراقب.. من أجل الوصول إلى الحقيقة.. نعم إلى حقيقة ما حدث مع شقيقتك بالتبني.. أوجين.. لكنك في نهاية المطاف سقطت ضحية مؤامرة كانت ستجعلك تتعفن في السجن لمدى الحياة.. قررت الاعتراف بوزر جريمة لم ترتكبها ظنًّا منك أنك ستحمي القاتل الحقيقي الذي ظننته ابن شقيقتك أوجين.. ديمتري..

عند نطقها بهذه الكلمات، ظهرت المفاجأة في أعين الجميع، وسمعت همساتهم تتردد في أرجاء المكان بصدمة: "يا إلهي.. شقيق أوجين، هذا مستحيل"..

ثم توقفت إيريني أمام كريستين، وهي تشبك ذراعيها بحزم:

– أليس كذلك يا كريستين؟ ثم نظرت إليها مطولًا قبل أن تضيف:

– أقر لكِ، لقد كنتِ ذكية ومخادعة.. كشيطان في زِيِّ ملاك!

-13-

ملاك أم شيطان

كانت كريستين تجلس على الأريكة، يداها متشابكتان بإحكام.. عندما توقفت إيريني أخيرًا أمامها تنظر إليها بصمت لثوانٍ.. ثم تكلمت مجددًا بنبرة منخفضة:

- كريستين.. لنتكلم عنك قليلًا.. كنت دائمًا في الظل.. الفتاة الطيبة، الخطيبة الرائعة، والممرضة العطوفة..

إيريني بصوت هادئ لكن حازم:

- عرفتِ كيف توجّهين أصابع الاتهام.. قصة والدي ديمتري، الشائعات حول الحكاية القديمة، الحديقة، الدكتور ألكسندر.. دس الدلائل والألغاز.. كل ذلك.. كان مسرحًا بديعًا.. لكنكِ نسيتِ شيئًا مهمًّا.

كريستين، بابتسامة مرتعشة:

– ما الذي ترمين إليه يا آنسة سيلفا؟ ماذا نسيت؟ أنك تنطقين هراءً.. إنني كنت أعتني بالجميع في حين كانوا يلهثون وراء الثروة والخرافات؟

اقتربت منها إيريني ببطء:

- نسيتِ أن الخرافات لا تُعيد كتابة الحقيقة، بل تكشفها أحيانًا.. الرسالة التي عثر عليها ديمتري في غرفته، لم تكن إلا بخط يدكِ.. كنتِ تظنين أن أكاذيبكِ ستصمد إلى الأبد؟ الرسالة التي وضعتها في غرفة ديمتري.. لم تكن من نيكولا.. كنتِ أنتِ من خطّتها.. والدلائل التي قمت بدسها.. هل كان كل ذلك من أجل المال والثروة؟!

بدا وطأ المفاجأة خفيفًا على كريستين، ثم ابتسمت ابتسامة متوترة، وهي تقول:

هذا مجرد تخمين.. إيريني كما ترين، أنتِ مجرد محققة، ماذا تعرفين عن الخطوط؟

أخرجت إيريني الرسالتين من حقيبتها وعرضتهما أمام كريستين:

– هذه رسالة قديمة بعث بها نيكولا لي.. أكيد لا تعلمين بوجودها.. إذا قارنتِ بين خطه هنا، وبين الخط الذي كتبته أنتِ في الرسالة المزورة، ستعرفين أنَّ هناك فرقًا شاسعًا.

اقتربت إيريني أكثر:

– خطوطه كانت دائمًا تملك منحنيات دقيقة، نهاية الحروف كانت متفاوتة، أما الخط في الرسالة التي كتبتِها، فهو يشبه رسم الخطوط الهندسية أكثر من كونه خطًّا طبيعيًّا..

تكلمت كريستين متحشرجة، تحاول تدارك الموقف:

- ربما أخطأتِ في التقدير.. أظن أن خطي يشبه خطه إلى حدٍّ كبير.. وحتى لو افترضنا أن الخط لي فهذا ليس دليلًا على ارتكابي للجريمة.. كما تعلمون جيدًا، لقد كان جدي يحبني ويثق بي كثيرًا.. وربما طلب مني مساعدته في كتابة وصيته..

قالت إيريني بتأكيد قاطع:

- وهل طلب منك ذلك حقًّا؟! كريستين، ما رأيك أن تكفي عن المراوغة.. لقد تحقق المفتش غريغوريوس من الأمر بنفسه، لدينا تقرير تقني للخطوط يثبت بأن الوصية مقلدة، وأنا

نفسي تحققت من الأمر مع السيد ريمون المحامي، أخبرني بأن الوصية وصلته عبر البريد العاجل بعد وفاة السيد نيكولا.. ثم هناك الرسالة التي كتبتِها بخط يدك لتدفعي الجميع إلى الشك في ديمتري، حاولت تحريضه على الانتقام عبر إثارة قصة والديه، وعندما لم يفعل قمت بارتكاب الجريمة بنفسك وحاولت تلفيق التهمة له.. ولتسهل لكِ الطريق لتدمير عائلة "إيفانوس" والحصول على الثروة لنفسك، ألم يكن هذا هو المغزى من الوصية الاحتياطية التي قمت بتزويرها؟ ألست أنتِ القريبَ المخلص الذي كان سيؤول إليه الميراث؟!.. حضرة المفتش غريغوريوس!

تبادل المفتش غريغوريوس وإيريني نظرات ذات مغزًى، ليتحدث أخيرًا المفتش بصوت حازم:

- ما قالته الآنسة إيريني صحيح.. لقد أكد تقرير الخبير تطابق الخطوط بين الرسالتين.. وبخصوص الوصية لقد تابعنا عنوان المرسل، وأظهرت تسجيلات الكاميرا صورة امرأة شابة حاولت التخفي بتغيير شكلها، لكنها أنت يا آنسة كريستين، وقد أرسلت الطرد وسجلته في مكتب البريد تحت اسم مدام أوناسيس.. وقد أكد لنا الدكتور ألكسندر في تصريحه بأنه أجرى لك تحليلًا للدم في اليوم الذي وقعت فيه جريمة قتل السيد نيكولاس، لأنه عاين

عليك حالة شبيهة بالتسمم لكنه لم يكن متأكدًا.. لقد سحبنا عينة منه وأثبتت النتائج وجود أثر مادة سامة في دمك.. يحتمل أن تكون نتيجة استنشاقك لمادة السارين.. ولا أحتاج أن أشرح لك بأنه هو الغاز الذي استنشقه عمك حتى الموت.. لقد قمت بمخاطرة كبيرة..

أكملت إيريني قائلة:

- والآن لنعد لجريمة قتل السيد نيكولاس، هل يجب حقًّا أن أخبرك كيف قمت بتنفيذها؟

صمتت كريستين وهي تنظر إلى إيريني في تحدٍّ واضح.. لتتكلم هذه الأخيرة قائلة:

- حسنًا، كما تشائين..

التفتت إيريني إلى الجميع وقالت: ليس سرًّا أن السيد نيكولاس كان يقضي معظم أوقاته بغرفة المشتل الموجودة بالحديقة الكبيرة، لهذا كان من السهل عليك اختيار مكان معزول لتنفيذ جريمتك..

وضعت إيريني يدها في جيب معطفها وأخرجت منديلًا صغيرًا:

- وجدت هذه القارورة الصغيرة خلف المدفأة، بالكاد يمكن رؤيتها، تحمل بقايا مادة شفافة.. إنه سارين! قمت بإدخال هذا الأمبول الزجاجي الصغير المحقون بالسارين في حجرة التسخين بالمدفأة، وقد حرصت على إعداد العبوة لتتحلل أو تنفجر حراريًّا عند بلوغ درجة حرارة معينة، أغلقت التهوية بمسمار لمنع فتحها أو تحرك الهواء الطبيعي الذي قد يبدد الغاز، ثم قمت بإغلاق النوافذ في المشتل، وبما أنك تعلمين أن نيكولاس نادرًا ما يشغل المدفأة حرصت على تشغيلها له بنفسك، ثم غادرتِ قبل دقائق فقط من دخوله إلى المشتل، وربما شغلتها بحضوره وقمت بضبط وقتك حتى تغادري قبل انفجار الغاز.. تأملت إيريني قليلًا ثم قالت: هذا يذكرني بأنك تعرضت فعلًا لتسمم طفيف، هل كان مجرد إهمال منك.. نظرت إيريني إلى السقف قليلًا ثم ركزت عينيها على كريستين، ربما لم ترتدي قفازات أثناء تركيب الأمبول.. أو بسبب شرخ شعري أو سوء إغلاق، ما جعل المادة تلتصق بك قليلًا..

صمتت كريستين طويلًا أمام صدمة الجميع وعجزهم عن التصديق.. بدت وكأنها محاصرة بالحقائق من كل جانب.. ثم نهضت ببطء، عيناها تغوصان في السواد.. نطقت أخيرًا:

- تعرفين يا آنسة سيلفا؟ أحيانًا، يحتاج الظلم إلى مسرحية حتى يُفهم..

إيريني:

– ظلم من؟ أنتِ؟!

ردت كريستين بعينين يملأهما الحقد، وصوت تملأه المرارة:

– جدي.. لقد كان رجلًا قاسيًا، لم نكن نعني له شيئًا.. وعندما توفي أخيرًا.. تركنا في قبضة الشيطان نيكولاس.. لقد عاشت والدتي على الهامش في هذه العائلة، لقد كنا نعيش جميعًا على الهامش ونحن خائفون من أن نُطرد في كل يوم، ربما كثروة عابرة لعمي نيكولاس.. طبعًا لأنه كان الوريث الوحيد، ولم يكن يهتم إلا بديمتري، يشفق عليه لأنه عانى من الظلم.. وكأنه الوحيد الذي ظُلم في هذه العائلة.. أو ربما لأنه كان الوريث الذي سيحمل اسم عائلة ليفانوس وثروتها.. وأي عائلة هذه.. عائلة مليئة بالأسرار..

قالت إيريني:

فقررتِ أن تُحيي الأسطورة.. وتعيدي بيرسيفوني إلى العالم السفلي، بدم بارد..

في هذه الأثناء، نهضت كاترينا ووقفت أمام ابنتها وهي تمسك بيديها، تحدثت إليها بعيون متوسلة:

- لماذا فعلت ذلك يا كريستين؟ أنت لست مجرمة.. أرجوكِ قولي بأنك لست المجرمة.. أرجوكِ..

كريستين بابتسامة شاحبة:

- لم أقتل لأنني أكره.. بل لأنني أردت الحصول على ما أستحق.. على ما هو حق لي.. لم أكن لأجعلهم يعاملونني كما عاملوك يا أمي.. أردت فقط تذكيرهم بما فعلوه أولًا، لأنهم لم يكونوا ملائكة ليحكموا علينا بناءً على نزواتهم.. أردتهم أن يعيشوا في ظل لعنة الخوف، كما عشنا نحن..

قالت إيريني:

- والسيدة كسينيا.. والدكتور ألكسندر وديمتري، ما ذنبهم؟

أجابت كريستين بقسوة، وبدون أن يرف لها جفن:

- كانوا أضرارًا جانبية.. فكما تعلمين لا انتصار بدون تضحيات.. ولكل حرب ضحايا.. ولأوضح الأمر بخصوص السيدة كسينيا لم أرغب حقًّا في قتلها.. الثرثارة المسكينة.. لقد كنت أقصد جدتي المتزمتة أولغا.. غيَّرتُ الدواء الذي كان في

حقيبة ألكسندر.. كان من المفترض أن تُحقن به جدتي، ولكن للقدر رأي آخر.. ابتسمت كريستين ابتسامة ملتوية وأكملت: اتصلت به كسينيا ليكشف عنها قبل ذلك.. يبدو أنها كانت مستعجلة لتعيش نهايتها..

***

فلاش باك – قبل أشهر

كان المطر يتساقط بغزارة على النوافذ المهترئة..

كانت كريستين تقف في غرفة المشتل أمام مرآة مشروخة، حيث رائحة الطين المبلل الرطب والزهور الذابلة تعبق في الهواء.. بيد مرتجفة نزعت عنقوداً من الزهور الذابلة كان معلّقًا فوق إطار المرآة، تساقطت أوراقه واحدة تلو الأخرى كما تساقطت محاولاتها لإصلاح ما لا يُمكن إصلاحه.. كانت النافذة خلفها ترتجف تحت ضربات الرياح، وألسنة البرق تشق السماء، وتضيء وجهها في المرآة: وجه فتاة على الحافة، بين التوسل والانهيار.

كانت تنتظر نيكولاس.. ستطلب منه أن يتوسّط، أن يقف إلى جانبها، أن يتحدث مع العجوز نيكولا الذي كان على فراش الموت.. لتطلب المغفرة لأمها، كاترينا، التي قرر العجوز تنحيتها من الميراث بسبب اختلاساتها المتكررة من حسابات شركة العائلة التي عهد لها بإدارتها.. لكن كريستين كانت تؤمن.. أن أمها لم تكن سارقة.. لقد كانت مجرد امرأة مسحوقة، محطّمة، تبحث عن مخرج لأسرتها، ولزوجها..

أعدّت كل حججها.. رتّبت كلماتها بعناية، وأخفت ارتجاف صوتها خلف ابتسامة هشّة كانت تمرّنها في المرآة.. كانت مستعدة للتوسّل.. ولأن تفعل أي شيء. أي شيء من أجل إنقاذ ما تبقى.. والدها غارق حتى رقبته في الديون، والمرابون يهددونه..

وفجأة، سمعت خطوات في الحديقة.. أحست بصدرها ينفرج.. لا بد أنه نيكولاس.. اقتربت من النافذة، وانحنت قليلًا خلف الستائر المبللة بالرطوبة..

كان نيكولاس يسير ببطء مع والدته، أولغا، تحت المطر.. كان يمسك ذراعها، لكن صوته كان مرتفعًا بما يكفي ليصل إلى نافذتها:

نيكولاس بصوت متهدج:

- "أمي.. لا يمكنكِ أن تبقي هذا السر مدفونًا أكثر.. إيفان مات مظلومًا بسبب خطئك.. وديمتري لا يزال يبحث عن ظل الحقيقة.. لا أحد سيحكم عليك.. فقط قوليها، أخبريه بالحقيقة، سيقتنع بأن موت والدته كان مجرد حادث مأساوي.. أرجوك.. ودعي الآخرين يستريحون".

أجابته أولغا بصوت متعب، لكن حاد:

- "توقف عن هذا الهراء، نيكولاس.. وإذا كنت ما تزال تحس بالذنب، يمكنك الاستمرار في حمقك والاعتناء بحديقتك الغالية.. لكنني فعلت ما كان يجب عليَّ فعله.. أوجين دمرت شقيقك ودمرتك.. لا تدع ذكراها تدمر ديمتري أيضًا..

التفت أولغا إلى نيكولاس وتبادلت معه نظرات طويلة، ثم انصرفت عائدة إلى داخل القصر..

في هذه الأثناء شهقت كريستين بصوت مكتوم من هول ما سمعته.. ورددت: جدتي!

ومع أول فرصة، أسرعت نحو الحديقة، تعترض طريق نيكولاس، وقد بلل المطر شعرها وثيابها:

كريستين، بتوسل:

- "نيكولاس.. خالي أرجوك.. تحدث مع جدي إنه يصغي إليك.. دافع عن أمي.. هي لا تستحق هذا.. إنها ضحية مثل الجميع.. لقد فعلت ذلك من أجل الحفاظ على أسرتها.. أرجوك كل ما أطلبه.. فرصة أخيرة لها، ولوالدي. أنت الوحيد الذي قد يستمع إليه جدي".

لكن نيكولاس هزّ رأسه بأسًى، ثم قال بصوت هادئ:

نيكولاس:
"كريستين.. ليس الآن.. لقد فات الأوان. لا يمكنني فعل شيء ولا تزيين الكذبة أكثر، أمك فعلت ما فعلته. وأنا لن أتدخل".

شهقت كريستين:

- "لكن.. أمي لم ترتكب جريمة لتعاقَب.. لقد كان مجرد خطأ بسيط!"

رد نيكولاس ببرود:

"هذا صحيح، لكن يجب عليها تحمل مسؤولية خطئها".

ثم استدار.. ومضى.

بقيت كريستين واقفة وسط المطر، كأنها شجرة اقتُلعت جذورها.. اهتزت أنفاسها كمن يختنق.. ذلك لم يكن مجرد رفض.. بل خذلان نهائي. وفي لحظة مجنونة، تردد صوت كلمات نيكولاس في رأسها وقررت أنه محق: الجميع ينبغي أن يتحمل مسؤولية أخطائه.. مهما كان الثمن.

فجأة قطع عليها صوت خشن يردد عليها كلمات غير مفهومة شريط ذكرياتها، لتعود إلى الواقع على صوت المفتش غريغوريوس وهو يقول بحزم:

- حسنًا، هذا يكفي! كريستين ليفانوس، أنتِ متهمة بالقتل العمد، وتضليل التحقيق، وتزوير أدلة جنائية. لديكِ الحق في التزام الصمت.

ظلت عيون كريستين معلقة بالهواء، ولم تصدر عنها أية إجابة، ثم نظرت نحو ديمتري، وكأنها تنتظر شيئًا.. لكن ديمتري لم يتحرك.. كانت عيونه معلقة بها في صدمة صامتة، بدون مشاعر أو دموع أو شفقة.

سألها ديمتري بصوت مبحوح:

- لماذا..؟ كنتِ أقربهم إليّ.. إلى العم نيكولاس، وحتى جدي كان يفضلك على الجميع..

كريستين بهمس:

- لهذا السبب بالذات، كنت أعلم أنك ستصدقني.. لم أرد لك الأذى يا ديمتري، بل.. الحقيقة.. الحقيقة التي أنكروها..

عائلتنا كانت مجرد كذبة يا ديمتري.. جميعهم كانوا منافقين، لكنني كنت صريحة معك على الأقل..

قال ديمتري بدهشة:

- الحقيقة؟! بل قولي الجشع.. لأن الحقيقة لا تأتي محمولة على جثة.. لا تُبنى فوق دماء.. وأنت.. أنت كريستين كنتِ أسوأ من الجميع..

تدخلت إيريني:

- ديمتري، دعهم يأخذوها. لقد فعلت ما يكفي..

تراجع ديمتري خطوة للخلف.. تنفس بعمق، وأحنى رأسه قليلًا، وكأنه يودّع شيئًا ما داخله.
وبحركة من رأسه، وجه المفتش غريغوريوس أمره إلى ضابط الشرطة الذي كان برفقته:

- خذوها.

***

في الحديقة، وقف ديمتري أمام نافورة المياه الصغيرة، وهو يتأمل التمثال الحجري لبيرسيفوني.. المكسور عند القاعدة.. ثم همس لنفسه:

- حتى الأساطير لا تعود كما كانت..

اقتربت منه إيريني ببطء وهي تدير نظرها في المكان.. كان يبدو عليه الحزن، كالمظهر الذي تذكرته به في لقائهما الأول.. فتًى نحيل بعيون حزينة.. يشبه والده تمامًا، لا يحتاج ذلك إلى إثبات.. كان يقف في صمت طويل.

خاطبته إيريني بخفة:

- هل شعرت أن الأعباء قد خفّت الآن؟

التفت إليها ديمتري وقال بصوت هادئ:

- ربما.. ولكنَّ هناك شيئًا في هذا القصر، في هذه الأرض.. لا أعتقد أنني سأرتاح أبدًا..

أجابت إيريني بتفهم:

- حتى بعد انكشاف الحقيقة، أحيانًا تبقى أشباح الماضي تلاحقنا.. نحن لا نكتب الماضي، بل نحاول فهمه فقط.. ديمتري!

رمقها ديمتري بنظرة حادة، لكن مجروحة:

- فهمه؟ وكيف يمكنني ذلك؟ لأنني لن أفهم أبدًا سبب إقدام كريستين على فعل إجرامي بهذا الشكل.. لا يمكن أن أستوعب كيف أنها حملت كل هذه الكراهية في قلبها.. أو سبب ارتكاب جدتي لفعلتها الشنعاء.. أو سبب الجحيم الذي جعل والدي أمي تعيشه.. لِمَ كل ذلك؟ لأجل لا شيء..

أجابته إيريني بعطف:

- المشاعر الإنسانية معقدة للغاية يا ديمتري.. والكراهية هي بذرة صغيرة تبدأ في القلب، ثم تتوسع حتى تصير جبلًا.. كريستين حملت داخلها فهمًا مشوهًا للعدالة.. لقد ظنت أن لديها الحق في تحديد من يستحق الحياة ومن لا يستحق، وأولغا ظنت أن الحب يبرر لها جريمتها.. هذه مشكلتهم.. المهم هو أن العدالة تحققت في الأخير، ولم يبق أمامنا سوى المُضي قُدمًا..

صمت ديمتري، ثم تحدث بمرارة:

- العدالة، نعم.. عدالة متأخرة.. وهل هناك مَن يستطيع أن يشفي هذه الجراح في القلب؟

قالت إيريني:

- لا أحد غيرك يستطيع.. الحياة تستمر، ويجب أن نتعلم كيف نمضي قدمًا رغم كل شيء.. ثم سحبت شيئًا من جيب معطفها وقدمته لديمتري، وهي تقول:

- ولكن الحب يستطيع.. انظر ماذا وجدت.. كان في صندوق صغير بأحد الأدراج.. في المشتل..

كان ظرفًا قديمًا، أصفرَ اللون، مكتوبًا عليه بخط أنثوي دقيق: "إلى ديمتري، حين يكبر قلبه ليستقبل الحقيقة".. تردَّد ديمتري لحظة.. ثم أخذ الرسالة بيد مرتجفة، وفتحها.

انبعثت منها رائحة الورق العتيق.. وعبق من الماضي الذي ظن أنه لم يكن يحمل له سوى الألم.. بدأ يقرأ.. وصوت أمه أوجين يتردد في أذنه، كأنها جالسة بجانبه:

"ديمتري صغيري..

ربما لن أكون معك لأروي لك بنفسي.. وربما لم ولن تسمع الحقيقة من أحد.. فدعها تصلك مني، أنا التي أحببتك رغم كل شيء.. كنت طفلة يتيمة تبنتني عائلة أوناسيس التي كانت تقطن بالجوار.. كبرتُ مع إيفان ونيكولاس.. ثلاثتنا كأبناء شجرة واحدة، لكن الأغصان تميل أحيانًا في اتجاهات مختلفة.. لقد كان نيكولاس لطيفًا، عطوفًا، ولطالما أحبني كأخت له.. مثل كاترينا.. وربما كان يشفق عليَّ أكثر من الجميع لأنني كنت طفلة يتيمة.. أما قلبُ إيفان، فقد كان مفعمًا بالحياة.. أحببته كما لم أحب أحدًا قط.. لكن شيئًا ما تغيّر فيه عندما كبرنا.. بدأ يرى ما لا يوجد، يشكّ في نظرة، في كلمة، في ذكرى.. كان تفضيل شقيقه نيكولاس عليه من قِبل العجوز نيكولا، ينخره من الداخل.. كان يؤذيه.. ولو بدون قصد.. وفي النهاية تمكن الشك والغيرة من العصف بعلاقتنا، فتحول حبي وتقديري لنيكولاس إلى سكين غرسته دون قصد في قلب إيفان..

يا ديمتري، الشك مثل النار، لا يحرقنا فحسب.. وإنما يلتهم كل ما حوله.. وحين أتيت بك إلى الدنيا، كنت أملي الوحيد في أن يعود والدك لسابق عهده.. لكنك كنت أيضًا مرآته، يرى فيها خوفه.. فخافك.. لم يكن كرهًا، بل جرحًا لم يعرف كيف يشفيه.. لكنه أحبك.. بطريقته.. ولهذا، يا صغيري، إياك أن تجعل الشك بيتك،

ولا الغضب رفيقك.. واجعل الحب طريقك.. كن محبًّا ولو خانك البعض.. سامح، وإن تأخر الاعتذار.

فأنت لست امتدادًا لماضينا.. أنت بداية جديدة".

أنهى ديمتري القراءة بصمت.. وفجأة لم تكن هناك دموع.. بل راحة انتظرها عمرًا كاملًا.

نظرت إليه إيريني وابتسمت بهدوء، ثم قالت:

- "لقد كنت محبوبًا دائمًا يا ديمتري.. كل واحد أحبك بطريقته، ربما لم يظهروا لك ذلك.. لكن تأكد أن الحب كان هناك، دائمًا.. وتذكر: الماضي يمكن أن يكون عبئًا ثقيلًا، لكنك أنت من تقرر متى تكتب النهاية والبداية"..

ابتسم لها ديمتري، وقال لها بهمس:

- وأنا.. سأكمل من هنا".. ثم نظر إليها بعيون حانية وقال:
- شكرًا لك إيريني.. شكرًا لكِ!

ثم أغلق الرسالة، ووضعها على صدره، كأنها قلب جديد..

تنهد ديمتري ثم ابتعد في صمت، بينما بقيت إيريني واقفة تحت الشجرة العتيقة، تتأمل السماء الملبدة بالغيوم.. كانت العاصفة قد انقشعت.. والشمس –أخيرًا– بدأت تشق طريقها بين الغيوم.. ابتسمت إيريني ابتسامة هادئة وتلفتت، كأنها تودع الفصول القديمة التي نُسجت حول هذا القصر.. ثم همست لنفسها:

- حان وقت العودة!

النهاية

روابط مهمّة لكل كاتب، ستساعدك على تنمية مهاراتك الكتابية.

شروط النشر في دار بسمة للنشر الإلكتروني

اشترك في النشرة البريدية الآن

اسأل سؤالك هنا

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

المحتويات

الإهداء..... 6
-الرسالة-..... 7
جزيرة باروس..... 14
العشاء 23
جريمة بشعة..... 38
التحقيق 64
المشتل..... 108
السيدة كسينيا 111

جريمة ثانية 123
الوصية..... 134
-ديمتري- 145
انتحار أولغا..... 150
الحقيقة..... 154
ملاك أم شيطان..... 164

البعبيدي سهام

- حاصلة على شهادة الإجازة في القانون الخاص (2015)، وشهادة الماستر (2017) من جامعة محمد الخامس بالرباط.
- حاصلة على شهادة الأهلية لممارسة مهنة المحاماة سنة 2019،
- دكتورة في العلوم القانونية والسياسية، جامعة محمد الخامس الرباط سنة 2024.

الأعمال الروائية القادمة:
- رواية ميزان القلب.
- رواية أخوية سان سيباستيان.

قَصرُ الدِّماءْ

تتوصل المستشارة الجنائية إيريني سيلفا برسالة غامضة تدعوها للسفر إلى اليونان للمشاركة في قراءة وصية قريبها العجوز نيكولا ليفانوس، فتجد نفسها في قلب شبكة عائلية معقدة تحيط بها الشكوك، حيث يحمل كل شخص سرًا، وتخفي كل علاقة ندبة قديمة.

وحين يُعثر على جثة رجل بارز داخل القصر اليوناني الفخم، تتجه الأنظار إلى الورثة والمقربين، لكن شيئًا في مسرح الجريمة لا يبدو منطقيًا.. تبدأ إيريني بتتبع الأدلة داخل القصر الذي يخفي خلف جدرانه قصصًا من الماضي، وتكتشف أن الجريمة ليست وليدة اللحظة، بل مرتبطة بمأساة قديمة أُعيد فتح جراحها. ومع تصاعد التوتر، تتكشف لها خيوط تقود إلى حقيقة صادمة: القاتل أقرب مما تظن، والانتقام لم يكن الدافع الوحيد.

قصر الدماء رواية مشوقة تنسج خيوط الجريمة بالتوازي مع تحليل نفسي عميق للشخصيات، حيث تتقاطع الرغبات بالندم، والخداع بالحقيقة، في إطار من الإثارة والغموض.

bassmabook
00212771814934
bassmabook@gmail.com